امرأة لاأحب إن ألقاها

إهـــــــــــداء

إلى روح صبارتي التي اختزنت كل الحب
.. إلى أمي .

و إلى روح الحبيب الذي لا تبيد ذكراه
أبداً .. أبي

فهرس

مفـــتـتـح

إلى كل "م" ، "س" ، "ح" ، "ف" ، "ه" .. الخ
إلى كل الخيوط التي نسجت منها هذا الثوب الـذي جاهدت أن يكون محبوكاً...
معذرة أني جعلت منكم أبطالاً دون اختيار

فهرس

فـــصـــــــل أول :

احتفالية للحزن

ويرحل...

(١)

و يرحل٠٠ تنفرط مسراتى من عناقيدها ٠٠تتساقط حباتها ٠٠ تختفي بين الأرجل المسرعة المتكالبة على دناءة المتطلبات اليومية ٠يبرق أمل مع ضوء كل سيارة قادمة ٠٠ ينطفئ مع احتكاك عجلاتها بقربي مسرعة ٠٠ أنه هذه المرة لن يتراجع عن قراره٠

(٢)

يرحل٠٠ قرب الفجر يصيح الديك ٠٠دفقة نشاط مفاجئ تدغدغ أوصالى ٠٠تتفجر أطرافى المثلجة بدفء لم أعتد عليه ٠٠تطفر الدماء من وجنتى ٠٠ تندفع فى أناملى ٠٠أتقافز مسرعة فى الشوارع ٠٠ أغازل المارة المسرعين إلى أعمالهم ٠٠ نساء كانوا أو رجالا أو أطفالا ٠٠أنفخ دخان سيجارتي فى وجوههم ٠٠ يبلعون دهشتهم ٠٠ لايدركون من أي كوكب *هبطت عليهم*

٠ اليوم لا أحمل هم سؤال كريه ٠٠ثقيل ماذا سنأكل اليوم ؟أرفع هاتف منزلي من الخدمة وأغلق تليفوني المحمول خوفا من سؤال آخر متفحم أين أنت؟لأني سوف أكون في مكان معبق برائحة التفاحة الخلابة وأدخنة الشيشة المعتقة ٠٠وحولى كثيرون يلعبون النرد ٠٠يثرثرون ويتصايحون ولايعبأون كثيرا بامرأة وحيدة تسهر بعد منتصف الليل

(٣)

يرحل يشد معه خيوط وجودي خيطا خيطا ٠٠ تنفك جديلة أيامى ٠٠ تتبعثر سويعاتى ٠٠تختل مفردات نوتتى الموسيقية ٠٠تنقلب رأسا على عقب ٠٠لايجيد أحد شد أوتارى المرتخية ٠٠تهيم النغمات فى الفضاء ٠٠ يتعاظم الألم دائما عندما يختفى أثر الدواء المسكن ٠٠يداوى قلبه الذى عقدت عليه جنية سبع عقدات من سحر أسود أخفقت أن أفك طلسم واحدة منها ٠٠ وهكذا يرحل

(٤)

رحل ٠٠وكلما أوغل فى الرحيل ٠٠ تجذر أكثر فى الأعماق ٠٠كلما تناءى تكاثفت ذكراه ٠٠وأصبح لحضورها معنى أعظم من وجوده كلما أمعن فى البعد كبر تمثاله٠٠و٠صنعت خرافاتي حوله هالة سحره ٠

تتجدد الذكرى وتصبح كائنا مستقلا يحمل معه طقوسه ٠٠ يتضاءل هو تبقى هى ٠٠ لكنه في النهاية يرحل٠

(٥)

يرحل٠٠ يزلزلنى رحيله ٠٠رغم يقينى أنه كان راحلا فكل سفنه كانت تبحر بعيدا عنى يوما بعد يوم ٠٠وخيوط شمسه الغاربة ٠٠كان يلملمها خيطا خيطا ٠عندما رحل انبجست نافورة من دمى ٠٠ يرويها مزيد من الرحل الذين لم يعد منهم أحد٠

فهرس

قبـــــو

انعكاسات الإضاءة المتتالية تتكسر على أسطح زجاجية ..
تسبق بيتي فى المثول أمام الشمس أظل كزهرة عباد شمس مخنوقة تذبل يوما بعد يوم فى رحلة يومية محتومة..محمومة..وراء أشعة الشمس التى تجيد التلولب والاختفاء بحربائية مذهلة خلف الأسطح الموالية للشمس..والتى تقف فى تبجيل كشواهد ماثلة مسلمة ظهورها لأشعة الشمس تجلدها بسياط من لهيب دونما انقطاع.
لم أعرف من قبل شمسا تعرف التخفي .. ولا أسطحا مخادعة كهذه تجيد اقتناص الأشعة قبل وصولها إلى سطحي الغبي الذى لا يتقن ألاعيب الحواة لاصطيادها.اجلس بالساعات فى شرفتي ..أرصد حركات أشعة الشمس المتقاطعة فى كل الاتجاهات دون أن يخطئ مرة شعاع واحد ويلج شرفتى ..حتى فى أيام الصيف التى اشتهر فيها بسخائه الحاتمي .. يظل الشعاع يقفز من شرفة إلى شرفة ومن نافذة إلى نافذة .. أغير مواقع

جلوسي واتجاهاتي ٠٠أهفو إليها ٠٠ تشتاق روحى للقياها ٠٠لكنى أبدا لاألقاها٠

تغادر وردية بشرتي مثواها الأخير إلى غير رجعة يحل محلها لون اصفر كابى تهجر الدماء دروب أطرافي ٠٠تغزو الرطوبة مفاصلي ٠٠ تلتهب فى كل مفصل جمرة ٠٠ تحتاج لشعاع شمس يطفئ غليلها قال الذى يعرف دائي ٠٠دواؤك مكان مشمس ٠٠ عجبت لجسدي يحتاج نارا تطفئ ناره ولهبا يطفئ جمراته وشعاعا أصفر يغتال جيوش صفرته ٠

قال الذى يعرف دائي ٠٠دواؤك مكان مشمس ٠٠أنى لي بمكان مشمش وكلما تقادم الزمن بعدت الغاية وعز الطلب وكلت الأقدام عن الجري وطالت قامة البنايات وصارت أكفا مشرعة متكاتفة عمدا مع سبق الإصرار على حجبها عنى أصبحت أتابعها بعيني فقط تتكسر أشعتها على أطراف أهدابي أتلمس أشعتها شعاعا شعاعا ٠٠ألوك الحسرة وأودعها ٠٠دون أن تجرؤ أناملي على مصافحة شعاع واحد منها ٠

أجرجر قدمي المتخاذلتين وركبتي المخلخلتين بكرسي المتحرك أتجول فى منزلي أغلق النوافذ ساعة الغروب ٠٠وأنتظر قدوم الليل٠

فهرس

بورتريهات

مسكينة هدى جابر

كوبك الأصفر المزين بالفراولة وعناقيد العنب مازال على مكتبك ٠٠ مفتاح مكتبك مازال مدلى من الجانب وقد خرجت أحشاؤه من ورق أبيض ومسطر وملفات كثيرة ودبابيس ٠٠ الخ أجلس على كرسيك الذى تأبين أن يجلس عليه أحد سواك ولو جلس عليه أحد تطلبين منه على الفور فى وقاحتك المحببة و صوتك الأجش المبحوح أن يبحث له عن كرسى آخر عائلتك الكبيرة هم وفقت "رؤوسا" كثيرة منها فى الحلال ٠

عندما عرفتك كنت أطلق عليك "البلدوزر" وكان فتحى يطلق عليك "البكبورت"أما عصام فكان يسميك "الديناصور " وأحيانا "وداد العالمة"وعندما كنت أراك تتمشين بجثتك الضخمة ووجهك المفرطح الذى خاصمه الجمال والذى يشبه رغيف خبز منتفخ لفحت النار وجهه تدبين بقدميك المفلطحتين فى طرقات المصلحة كنت أهش لك وأنا أرتعد خوفا من سلاطة لسانك أكاد أبحث بعينى عن شق فى الأرض يبتلعنى بعيدا عنك أنظر لك فى امتعاض وأنت تضحكين بصوتك المرتفع الغليظ ضحكتك التى تهز جدران المصلحة مع حودة السباك تناطحينه و"تدخلين له قافية"ومع أحمد البربرى موظف دفاتر الحضور تطلقين عليه النكات والألقاب خاصة عندما يلاحقنى كظلى وهو يغنى لى" ياغصن البان"وتظل كلمات قاموسك الفريد الضخمة المتجددة تلتصق برؤوسنا ونرددها كالببغاوت التى فقدت قدرتها على الابتكار والتجديد٠

كنا نخشاك حتى وأنت تضحكين فالفاصل عندك بين الابتسام والعبوس معدوم٠

تصاحبنا طرقعة أصابع يديك وأنت تشبكينهما معا عندما يضايقك أحد هم أو يوجه لك رئيسك المباشر كلمة يحمر لها وجهك المستدير خجلا -وقلما كان يحدث- وتزداد حبوبه المتناثرة بروزا أو عندما يسلبك أحدهم القدرة على الرد فتظلين صامتة ٠٠نتعجب ٠٠نتبادل النظرات ننتظر أن تنطلق من جعبة الحاوى قذيفة أو يطلق لسانك أحد مفرقعاته الموجهة فتهز زوبعة الضحكات المتتابعة بحيرة أيامنا الراكدة وتظل توابع الضحكات تنطلق وتتوالى٠

يتعمد حودة السباك إثارتك لتنفعلى وينفلت لسانك فتأتين له بإصبعك بحركتك البذيئة إياها أو تمسكين أذنه وتهمسين له بكلمة

يسقط على أثرها صريع الضحك أو ينفلت خارج غرفتك مغشيا عليه من القهقهة حتى تنساب الدموع من عينيه٠
عندما قالوا لى فى حركة الترقيات الجديدة ستكون هدى جابر رئيستك ٠٠قضيت ليلة ليلاء أصلى وأبكى أحوقل وأحسبن ٠٠أفكر فى طلب نقلى إلى إدارة أخرى فوجئت بك فى أول يوم وأنت توصين بوضع مكتبى إلى جوارك ٠٠تحضرين لى سندوتشات الفول والطعمية أو "المش" الذى صنعته بيديك ٠٠تطلبين لى الشاى والقهوة بكرم حاتمى لامثيل له حتى أصبحت عادة كل يوم ٠٠أصبحت أسعد وأنا أتطفل عليك وأتركك تتبنينى وظهرك القوى يسندنى ويحمينى ويشد عضدى ٠٠تنبهينى لأخطائى بحنان أم وتدافعين عنى بضراوة وشراسة لبؤة عندما يهم أحد بافتراسى لخطأ ارتكبته دون قصد حتى باتت زميلاتى يتندرن ويسمينك ماما أمريكا وأحيانا عندما تغيبين عن مكتبك فأضرب عن وجبة الإفطار يتساءلن وأين الأمن الغذائى؟
هل تذكرين يوما عندما سألتك عن عمرك بالمصادفة اكتشفت توافق أبراجنا الشمسى والصينى هذا يعنى أن بيننا ١٢ عاما ياصديقتى٠
مسكينة أنت ياهدى جابر ٠٠جبارة أنت فى عطائك٠٠والآن تتركين لى صندوق باندورا كلما فتحته أجتر ذكرياتى معك فيتدفق معها الألم والحزن
مسكينة أنت ياهدى جابر فى جبروتك حتى فى مرضك الأخير٠٠كيف تحملين وحدك كل هذا ٠٠ تشفقين على الزوج الحنون الغائب والأبناء البررة أن يروك وأن تدخلين جهاز المسح الذرى ٠٠ وتشفقين عليهم وأنت تعلمين أن الزائر الخبيث قد تغلغل واستوطن فى جسدك حتى نخاع عظامك يسلبك الحياة قطرة قطرة٠

مسكينة هدى جابر فى عنادك وأنت تتلقين جلسات العلآج الإشعاعى الميئوس منه وأنت تعرفين ·· وتنسحبين وتنفلتين بهدوء من مدارات الحياة واحدا تلو الأخر وتسقطين فى بئر العدم وتطلين من شمسك العالية تبزغين وتبتسمين ابتسامتك المنداة بدموعك من جوف كبسولة فضاء كبيرة على أهبة الاستعداد للرحيل ·

مسكينة هدى جابر ·· وأنت تحملين هموم مكتبك وإدارتك ··تلقين على كاهلى أعباء منظومتك الضخمة التى تعرفين أدق مفاتيحها وأسرارها ··فأحمل عنك مفتاح مكتبك وأمانة ادارتك فى غيابك وأحمل لك سرك الدفين الذى سيفطر قلبى فى إجازاتك المرضية المتتابعة وصمودك أمام اتهامات البعض لك أنك تتدللين ··خوفا من الزيارات المشفقة والمكالمات الشامتة والمصمصات والآهات المدعية ·

فأنت لاتحبين البكاء وتكرهين الضعف ··بصوتك الواهن الذى يذوى تقولين أنك تشفقين على " عارفة إنك جدعة وبمئة راجل عشان كدة اخترتك أنا عارفة أنا باعمل ايه "

نعم لم أبك يوما أمامك ·· رأيت جبلك الشامخ ينهار أمامى يتحول لحبيبات تراب ·· رأيتك وأنت جثة صلعاء ممددة·

عشت معك كوابيس ابنتك التى لن تجد أما تحتضنها فى نجاحها أو تنتظرها فى لهفة أمام أبواب لجان الامتحان أو تعبق لها رائحة البيت بدخان طبيخها فتشيع فى أركان قلبها إحساس الدفء والأمان ·· لن تجد أما تعدها لتكون عروسا تحتوى فى صدرها الحنون أسرارها وحكاياتها الصغيرة المخبوءة ··وابنك الذى لن تشهدى تخرجه هذا العام من كلية الشرطة والآخر الذى سوف يفتتح صيدليته فى الشهر القادم ·

مسكينة أنت ياهدى جابر وأنت تتركين وراءك هذه المقطورة الهائلة من الذكريات وترحلين٠٠

جالسة أنا على مكتبك ٠٠أشرب فى كوبك الأصفر ذى العناقيد٠٠تنبهنى صديقتى لازدياد وزنى الملحوظ فأبدى عدم اكتراثى واحتياجى الدائم لملابس أكثر اتساعا وأحذيةتناسب تفرطح قدمى٠

يداعبنى حودة السباك على سمنتى فأقذفه بقفشاتها ومفردات تعلقت برأسى منها ٠٠ويداعبنى أحمد البربرى بغصن البان هازئا فأمطره بنكاتى ٠

أكتشف أن صوتى قد بح من كثرة الصياح وضحكتى أصبحت عالية جدا وأنى أستطيع أن أعمل ساعات طوال بلا كلل دون أن أشتكى من نوبات الصداع التى لم تعد تفارقنى فى أوقات فراغى منذ أن رحلت ٠

وأن حولي كثيرون يخشونني وآخرين يكرهونني لكنى أيضا أمتلك الكثير من الذين استطاعوا أن يحبونني ٠

فهرس

تحـول

اقتحمت غرفته و صاحت " لن أنتظر الدور أتسمع ؟ " كانت الممرضة تهرول خلفها تحاول جذبها من ذراعيها .. تنفض يدها في احتقار .. تسدد نظراتها إليه و تردد " لن أنتظر الدور " يشير لممرضته بالانصراف .. يقول لها في رفق " تفضلي " .. تجلس زائغة العينين .. تقلب نظراتها في محتويات الغرفة .. كل شيء أبيض كما لو كانت ثلاجة .. يتأملها من خلال نظارته الطبية .. ملامحها وادعة .. أصابعها نحيلة ناعمة .. تتحدث فيخرج صوتها مرتجفاً .. لا يتناسب مع حجم العدوانية التى بدت عليها .. " آسفة لم أستطع الأنتظار .. إنه بالخارج .. لقد سمعت عنك .. قالوا : إنك أشهر طبيب في هذا التخصص .. كل يوم يفقد أحد أجزاء جسده الحياة .. بدأ بأصابع قدميه ثم أخذ يتسرب الموت إلى يديه و الأن فقد النطق لن أنتظر حتى يصاب بالعمى ثم الصمم " ألقت إليه بكومة من صور الأشعة و التحاليل .. "يقولون أنك تصنع المعجزات .. أرني معجزاتك " يدخل المريض على كرسي متحرك .. شاحباً

.. نائئ الملامح .. جلده تحت عظامه .. الحزن يسكن تحت جفونه .. كقدامي معذبي الحرب .. نظراته مثل نظراتها تائهه .. وجلة .. يفحصه في أناة .. و هى تراقب تعبيرات وجهه .. و قبل أن تظهر بادرة من بوادر خيبة الأمل ..قامت إليه و قالت " لا تتكلم لن أسمح بأن تقول لا أمل .. لابد أن يعيش .. أنا ضحيت بكل شيء و سأضحي بأي شيء ليعيش .. كل ما لدي .. جراحة .. سفر للخارج .. عقاقير .. أي شيء هل تفهم ؟ و إلا كان كل ما أفعله عبث في عبث "حاول أن يهدئها " أرجوك .. الموضوع خرج من يدي .. المرض في مرحلة متأخرة لابد أن تسلمي بإرادة الله " .

خرجت لحديقة العيادة تجره أمامها في كرسيه المتحرك .. واستها الشجرة قالت : " انظري إلي جذوري ضاربة في الأرض و فروعي في السماء " .. نظرت إلى السماء فأنزلت مطراً سقى الأرض .. نظرت إلى الأرض فرأت عباد الشمس سامقاً متجهاً بسوقه للشعاع الأخير من الشمس استهواها المنظر فظهرت لها نجمة فابتسمت لها .. فظهرت لها أخري و أخري تجمعن حتى أصبحن قمراً دققت النظر .. تجمعت الملامح تشكلت فكان وجهه .. يظهر و يختفي متوشحاً بالسحاب ثم

تحول إلى نجمة ما لبثت أن اختفت مع ضوء النهار نظرت إلى
كرسيه الذي كانت تجره أمامها .. كان الكرسي خالياً

فهرس

إلي الخفـــــــوت

قومي أيتها الطفلة انفخي بالوناتك الملونة ٠٠ أطلقي ضفائرك الجامحة من قيودها فى وجه الريح تحممى بقطرات المطر ٠٠ اتركيها تدغدغ وجهك وتغازل خصلات شعرك المعصوب من أعلاه فى محاولة فاشلة لاستلاب حريته ٠٠تركته يتصبب مطرا ٠

أما زلت تتأملين القمر المختنق المختفي بين طيات السحاب فى ليالي الشتاء المظلمة ٠٠تسرحين وأنت تنشرين الغسيل وتتساقط منك المشابك !

أمازلت قادرة على الابتهاج و الجرى وقطرات المطر تناوشك ٠٠تغمسين قدميك فى حفر الطين المبتل ٠٠ تنسحق النجيلة تحت قدميك المسرعتين ٠٠تجرين تطوين خلفك الأرض الخضراء٠٠ويغوص حذاؤك الكاوتشوك الأبيض فى جوف التربة المتشربة بالمطر ٠

تنسلين من مخاوفك القديمة الصبيانية بأن يتسخ حذاؤك وتغوصين أكثر لعمق التربة تتحسسين تجاويفها المرنة بأطراف أصابعك فتظل نفس الرغبة الطفلية تساورك بالجلوس القرفصاء وعمل المزيد من الحفر كأنك تبحثين عن ضالة ستجدينها كلما حفرت ٠٠تراوغك الحفرة الماكرة تتسع أكثر تفغر فمها لك

تهربين تجرين مازالت تتصاعد أنفاسك اللاهثة ..الخوف يزيد اتساع خطواتك تدبين بها أكثر على الأرض لتشيعين بها طمأنينة تهدئين بها روعك..تدهسين بها وجهه الأخاذ المحترق بالتساؤلات وصوتها "المسرسع" وهى تنظر لملابسك وغيرة نسائية شديدة تجتاحها ..تدوسين عينيه الملتمعتين بلمعة الوداع ولمحة النظرة الأخيرة الأسيانة تلاحقك ..وجهها المضبب وهى تصنع لك طاسة البيض المقلي بالسمن البلدي الذى كنت تحبينه من يديها .. تدس لقيماته فى فمك وهى تلهيك بقصة ترتجلها وتنتهي بنهاية آخر لقمة .

فى اللفة القادمة سوف تقابلينها .. سوف تختبرين قوة ملاحظتك لتميزينها وهى تتهادى من بعيد من بين الكثيرات اللائى يقمن بجولتك الصباحية ..أحد ثوابت يومها الذى لا يتغير ..ثلاث لفات للمضمار ثم فنجان القهوة المضبوط ثم تركب سيارتها وتطير .. هاهي مقبلة لا اعوجاج فى مشيتها ولا انكسار..لاسرعة ولاأناة شيء سليم كالفطرة ..تمشى دائما على الإسفلت ..لتفادى مطبات الحشائش أما أنت فتدمنين الانغماس فى طراوة الأرض ولدونة الحشائش المنداة التى تلمع قطرات الماء البللورية على أطرافها .

تفقدين الكثير من شحومك ..لكنك مازلت تجرين تتركين وراءك أراض خضراء وأخر يابسة ..لقد درست هذا الطريق جيدا ..هنا ستفترش الشمس الطريق وهنا تزداد الفتحات فى الجدران التى تطل على الطريق العام يتسرب منها الهواء كصواريخ مسددة تخترق العظام.ومع كافة الاحتياطات لايسلم الأمر من التواء قدميك وانكفاؤك على وجهك بين الحشائش ..مهما حاولت تجنب عثراتها أو المطبات الطينية المختفية بين

الشقوق ومع محاولتك تفادي ما يبتدعه متعهدو الحديقة من حفر كثيرة يدفنون فيها مواسير أو يغرسون فى وسطها أعمدة ..
مازلت تلهثين ..مازال المضمار طويلا لاينتهى وأنت تتقطع منك الأنفاس.. تتهدج .. تتلاشى وتظل تخفت .

فهرس

إليـــــــــــــها

مازالت المرأة ذات الملابس متنافرة الألوان تقف تنتظر قى لهفة سيارة أجرة لتقلها ··هاهى أخرى تحمل "تورتة" ··وآخر يحمل باقة ورد ندية ·· يسيرون·· حركة جديدة تدب فى الشارع رغم سكونه ·
بقعة ما فى قلب دهاليز الذاكرة تنتفض من سباتها أتجاهل بعثها ··أجاهد فى تناسيها ·· تفاديها·· تجنب المروق إلى جانب متاريس بواباتها ·
اتأمل برعما طفلا نابضا فى كف ورقة خضراء ··أتحسس الورقة ناعمة ملساء طازجا يبزغ فى حضنها ··أتأمل أما تسحب طفليها ··تعبر بهم الشارع تتوه كفوفهم الصغيرة وسط كفيها الكبيرين ··تسقط عينى على خمارها الناصع يشرق وجهها بالبهجة ··تداعب الطفلين تتدفق من جوف حدقتيها السعادة ··تحادثهما ··تتكسر كلماتهما المتعثرة تتساقط فى عفوية ضحكاتهما الجذلة تعلق بالفضاء ·
كقطار أسير أخاف أن أدوس كائنا ما فى خطى المستقيم
أصب نظراتى على ذاك الذى وقف فى البرد القارس بشعره الملبد وهيئته الرثة يستجدى الناس وتلك الطفلة التى تحمل حقيبة مدرسية ثقيلة تعبر بها لجة الشارع المائج بالسيارات المزمجرة وبائع الليمون العجوز الذى حتما سوف أشترى منه بضع ليمونات لاأحتاجها ليفتتح بها صباحه أتمنى لنظراتى أكفا تمسح دموعهم وتربت أكتافهم ··أضبط نفسى قبل السقوط فى دوامات

المشاعر ..ألبس نظارتى الشمسية عسى ان يكون بينهم من يجيد اختراق جبهات العيون المحصنة.
لن أسمح اليوم لأى شىءأن يتسرب إلى من راديو أو تلفزيون ليهصر قلبى أو يعتصر مشاعرى.
لكنها وحدها فقط تجرأت وتجاسرت رغم كل الاحتياطات أن تخترق أجهزة أمنى وتطوق كل حوائط صدى ..تنساب إلى من مذياع قديم في قهوة منفية في قعر شارع لم يدرج على الخريطة ..بحة صوتها المذبوح وهى تغنى .."زمان سهرتي وتعبتى وشلتي ..أنام وتسهري ..وتباتى تفكري ..يارب خليكى ياأمى ياست الحبايب يا حبيبة"

فهرس

لكنها كانت ميتة

كان الجو رطبا مشبعا والشمس جمرة ملتهبة تحتجب حينا خلف السحاب فتبتهل الأنفس لله أن تختفي ولو قليلا لكنها في إصرار تظهر لافحة ظهور المارة والسيارات بسياط جهنم
كنت أمرق بين السيارات أصنع بسيارتي مسارات لولبية بطريقة اعتدت سب من يتبعها لاختصار المسافات ٠
شئ رطب يخنق أنفاسي ٠٠جوفي المحترق ظامئ لكوب من الماء المثلج فى شرفة منزلي ٠٠أشتاق لمجرد الوصول لبيتي ٠٠البدايات صارت عبئا لا يطاق ٠٠أصبحت أبقر بطون البدايات الحبلى توقا للنهايات٠٠أسائل نفسي ماذا بعد٠٠؟
فى بداية اليوم أحلم بنهايته ٠٠وفى منتصف العمر تدور فى خاطري أخيلة النهاية ٠٠وفى منتصف الطريق أتأرجح كبندول قلق يكاد يقفز من بين أضلاع الساعة ليرتمي أرضا بلا حراك ٠٠حتى أطفالي عندما يستيقظون صباحا ٠٠أسائل نفسي متى ينامون٠٠متى تأتى الإجازة الأسبوعية متى تنتهي ؟متى ينتهي الصيف والشتاء والخريف٠٠متى ؟
هيا أيها العمر الغبي ٠٠احزم وريقات أيامك فى سلال مهملاتك وارحل٠
أضم ذراعي على فراغ ٠٠احتضن مقود السيارة ٠٠أتابع الصورة فى المرآة تبدو اللوحة فى الخلفية سيارات سيارات مكدسة ٠٠وطريق مسدود بلا نهاية٠٠وزمجرة محركات تزوم فى وضع الاستعداد لثغرة تفتح الطريق ٠٠سينطلقون على أثرها كوحوش

معدنية تطيح فى طريقها بأي شيء ٠٠إنهم مثلى أيضا يتوقون للنهاية ٠أتأمل تعبيرات وجوههم ٠٠نظراتهم الزائغة ٠٠قطرات العرق تتصبب لزجة من على وجوههم ٠٠ ينفخون يبرطمون يسبون ٠٠ يختلسون النظرات للإشارة الميتة يجففون قطرات عرقهم ٠٠ ثم يصمتون
استحضر تمرينا للاسترخاء فى اليوجا " تذكري منظرا جميلا " وهل أبدع منه يمكن أن أتذكره ؟
هبت ريح من الجنة عندما مر بجانبي ٠٠رائحة جسده المعطر طبيعيا رائحة نداء حار سافر للطبيعة يستثير كل حواسي ٠٠يعدنى بان ألقي حتفي فى أحضانه ٠٠أنا وهو فى حالة عناق ٠٠أغمض عيني أرجع بظهري للوراء ٠٠أسترخى على مقعدي ٠٠تتواتر المشاهد أحاول عبثا أن أبحث عن زر لإيقافها ٠٠لكنه أيضا كان يتوق للنهاية ٠
تعجلت ياحبيبى كنت أكثر منى رعونة فقد كانت النهاية قادمة تتهادى دون أن نسعى إليها ٠٠كنت أكثر منى لهفة وجنونا إليها ٠٠ابحث عن كلمات تصير موسيقى تصويرية للمشهد "لو أننا لم نفترق لبقيت بين يديك طفلا عابثا وتركت عمري فى لهيبك يحترق"
أبواق السيارات تطلق نعيقها الوحشي فى طبلة أذني ٠٠فتحت الإشارة ٠٠صاح أحدهم بجانبي " إيه ياختى نايمة نيننا"؟
أسير بالقصور الذاتي ٠٠أصل لمنزلي أفتح باب السيارة أفاجأ بقطة صغيرة ملقاة على ورقة جريدة بلا حراك٠٠تتناثر حولها بقايا طعام وتنبعث منها رائحة كريهة ٠٠اخذت أهمس لها " بسسست بسسست " لم تأت بأي حركة عاودت روحي المشهد قوة دافعة تطلق الطعام من جوفي دفعة واحدة لم يكن بوسعي إيقافها ٠
بأطراف أناملي المرتعشة ٠٠ وجوفي الذى يقاوم الغثيان ٠٠رفعتها لأضعها إلى جانب جدار ٠٠تفتح القطة الناعسة مقلتيها فى كسل ٠٠

تحرك رأسها الصغير فى ضيق أكملت مهمتي لكن شعورا طاغيا كان يملؤني ولا أعرف لماذا رغم كل مظاهر الحياة التى بدت عليها القطة أنها كانت ميتة ٠

البعض يموت مرتين

أصبحت حقيقة غير قابلة للجدل .. حملته شابكة ذراعي خلف ظهره لأوازن ثقل جسده .. وضعته على مقعده المفضل .. جلس بلا حراك .. فغر فاه في نظرة هول شاخصة كأنه لتوه تلقى صاعقة .. " أحضروا جهاز الضغط .. السماعة .. ماء .. ملعقة عسل .. ، .. ، .. ، .. " بقى الفم فارغاً كأنه كان موشكاً أن يقول شيئاً يتساقط منه العسل لزجاً قطرة قطرة .. الكل يجري يحضر أشياء لا قيمة لها .

كان قد ثبت على الوضع الذي جلس عليه .. يده على متكأ المقعد و الأخرى مدلاة إلى جانبه في إهمال .. " آآآه " انبعثت تشق صدري كسكين حاد انغرس نصلها في قلبي .

بكل قواي الخائرة أتشبث بحبل وهمي لأقف لكن أشياء ثقيلة تسقط داخلي و تجعلني لا أستطيع مقاومة السقوط .. قطرات باردة تنثال على وجهي و كفي و رغبة عميقة في الجري على البحر حتى تنقطع مني الأنفاس .. ألهث .. ينبعث صوتي من أغوار سحيقة "آآآه " لا أدري من أين يأتي هذا الصوت ..صوت متصل ينبعث قويا ثاقبا الصمت مشبعا بكل الأسى

مضمخا بآهات العالم .. يضعف شيئا فشيئا متداعيا متكسرا كحطام سفينة لفظتها الأنواء و ينتهي كذرات مطحونة مسحوقة تتطاير بفعل الريح في كل اتجاه .. "آآآه" توشك كل الشفاه أن تقولها .. كل يعزف مرثيتة الخاصة .. ثم يرين السكوت .

كل الوجوه تتحول إلى جمادات .. الوجه المغضن مازالت عليه علامات الأسى مستغرقاً في حلم كبير أجسه متصخرا .. بارداً .. تنتابني رعدة .. يسجون عليه الغطاء فأكشفه .. بزاد الرؤية أتزود .. خذلتني أيها الحبيب .. منحتني براعم أمل زرعتها ورويتها .. وأدها حاصب من السماء .. أحمل إليك محبو بتك ثمرة زهرتك الوحيدة في حديقة عمرك التي كنت تسقيها في الكف و تلقمها الحب كما تفعل صغار الطيور.. مراقبا نموها مربتاً بأصابعك الحانية فرحا بكل علامة جديدة في الحائط تشير إلى طولها المتنامي .. معا تخرجان أنت و هي .. تسعد و هم يظنونها الزوجة لا الابنة .. في اختيال و زهو تبتسم .. تتمنى في أعماق الفؤاد أن يكون الزوج توأمك في الحنو و الحب .. تتزوج و تتوق شوقاً لتمنحك لقب " جدو " .. و يكتمل نخب السعادة و تعيش معها من جديد لحظات الأبوة آلتي تاهت منك في دروب الغربة والسفر تتلعثم في نطق حروف "جدو " ..

فتقول لك" بابا " تطيش سهامك من السعادة .. تمنحها قبلات و تسقيها في الكف و تلقمها الحب.. تذرع الدنيا بأسرها من أجل شيء تطلبه مهجة القلب .. تأتي به سعيداً فرحاً .. متجاهلاً الألم الخبيث الذي يفتت ذرات كيانك .. يسبغون عليك شفاء مزيفا .. سرعان ما تنكشف ألاعيبهم و مخا زيهم ..

حواة في زي أبيض .. منجمون لا تنقصهم سوي اللحى المشعثة و البخور .. أصنامهم تحيطني و العيون المشرعة تغض في خجل مزعوم .. أني لي بأشعة ليزر تخترق ما في الرؤوس .. حتما كمبيوترات تحصي و تعد .. انتهت الطقوس .. يظل نصل السكين البارد ينفذ في قلبي و أنا أتذكره قبل الرحيل يقف أمامك مطأطئ الرأس في تبجيل كالخطاة يعترفون في المحراب بآثامهم يذرف الدموع يعدك و يتعهد أمامك أنه لن يمس "مليما " من الذي ستترك و الذي جمعته بشقاء و غربة السنين

فتغشاك طمأنينة كأنك تخففت من حمل كبير كان يثقلك .. تنظر إلينا في عتاب تخاطبنا عينيك "أرأيتم ؟ ألم أقل لكم .. إنه ليس شقيقي فحسب إنه ولدي الذي لم أنجبه .. ربيته و أعرفه جيداً.. إنه حصاد عمري " لا أستطيع التحلل من وطأة الألم عندما أتذكر وجهك الحزين يطل علينا من خلف الشريط الأسود المائل

فأقول لك " مسكين يا أبت_ كم كنت طيبا "فتهز رأسك مقهورا في حسرة .. أعض على شفتي و ينتابني الشعور يقيناً هذه اللحظة و بجلاء بأنه مرة أخري مات .

فهرس

المقاطع الأخيرة من رحلة نيل

تترنح أمواج النيل السوداء بين الإقبال و الإدبار .. تصيبني برجفة .. تلمع .. تتحرك .. أشعر معها بدوار يجتاحني .. أشعر بنفسي طافية على وجه النيل.. حزين النيل في الليل و في الصباح الكآبة تجثم على أنفاسه ..تتهادى أمواجه البطيئة كصفحات تنطوي فوق بعضها البعض .. كسولة .. حزينة .. يائسة .. بلونها الطحلبي الكابي ترسخ حوله المباني ترابية الألوان .. تسير العربات في حركتها الروبوتية الروتينية .. مشدودة بسلاسل العادة على الطرق المرصوفة .. و سحب الدخان تغطي صفحة السماء بلونها الغباري مطموس التعبير .. الجسور معلقة بين الأرض و السماء .. السناج يغطي جدرانها .. و الأشجار على حواف النيل .. مدلاة الهامة .. كربونية الاخضرار .. المباني تنطح برؤوسها السحاب .. تسبح المراكب كبقع زيتية متحركة .. المدينة الكبيرة فاغرة الفم تبلع البشر و العربات و تكاد تبتلعني .. كانت الموسيقي صداحة .. كانوا يتناقشون .. أغاني الشوق و اللوعة أسنان مناشير حادة تذبح جرحي الذي اكتشفت أنا أنه مازال طازجا .. النيل و الليل و الموسيقا .. لوحة عذبة لكنها ناقصة .. يتصاعد صوت الموسيقا .. تتصاعد روائح الطعام المرصوص بعناية فائقة على الطاولة

الأنيقة .. يتناقشون في حسابات .. تحتد أصواتهم .. تتصاعد .. تعلو .. تهبط .. تقوم شجارات .. صراخ .. و أنا .. لا أصغي إلا لصوت نباح قلبي المذبوح و رفرفة أجنحته المكسورة .

يلتفت زوجي لدموعي . ينظر إلى في حرج .. يستأذن في الانصراف . يصحبني لأقرب حمام ينبهني بلطف أنه في عشاء عمل و أن من معه لا ذنب له في رؤية دموعي فقد يسيئون التفسير .. و قد جاء بي هنا لمدينة النيل .. بضعة أيام للنسيان و ليس لاجترار الأحزان .

بمنديله الأبيض يمسح طرحتي السوداء المبتلة .يربت كتفي .. أعود لأجالسهم مرة أخري .. فأرحل من بينهم .. أغادر هم لأعود مرة أخرى أتأمل دموع النيل التي تنساب على صفحته .. تتلألأ .. تسبح .. الصور تتراقص أمامي .. تتجمد ذاكرتي علي آخر صورة التقطتها الذاكرة .. جسدك مسجي عاري و هذه النظرة الأسيانة .. في عينيك نصف المغلقتين .. نظرة لا تكون إلا لإنسان معذب .. تفريني و تكوي أضلعي .. تنغرس فيها كأسنة رماح .. و جبينك الو ضاء عليه شريط لاصق كتبوا عليه رقما .. أصبحت رقما يا أماه سقط سهواً من قائمة الأحياء .. سلمتك لهم جسداً نابضاً بالحياة .. و أتسلمك الآن حالة .. مجرد حالة .

في الليل أصعد وحدي .. أقف بواد سحيق بين الجبلين الأعظمين في زمن بين الغروب و انبلاج الصبح .. أبهت من أصوات

العصافير المختلفة و الغربان .. غير أني لم أرها و لم أعرف من أين كان ينبعث صوتها .. وديعا حينا .. و منذرا مخيفا أحيانا .. و نائحاً أحيانا أخرى .

كنت محتجباً .. بيني و بينك برزخ عال .. كلما ناديتك جاءني صوتك من بطن الجبل مشروخاً و صوتي إليك المحمل بالشوق يخرج من حنجرتي بجماع قوتي .. يفرق ذبذباته الهواء الثقيل الساكن فأصيح "أبتاه " يرتد إلى صياحي نواحاً . و لا أعود أسمع سوى الطيور .

أحمل نفسي و أهبط و أهبط إلى أعمق قاع .. تصطدم رأسي بوسادتي و جسدي بفراشي و أوقن أن هربي لن يطول .. ستنتهي هذه الأيام بسرعة .. سنعود في الفجر لمدينتي الصغيرة .. سنعود إليها متسللين خارقين الصمت ناقوس الليل و الموت .. سنعود إلى هذا البيت إلى هذه الغرفة التي هربت منها .. أعرف أني إليها سأعود لكني لن أجدها في الانتظار .. لن أجد حضنها الدافئ و لا ابتسامتها و لا كلمة " وحشتيني " سأدلف من باب الغرفة لأجد المشهد الأخير المتبقي من الذاكرة ينتظرني .. هى على ملة السرير عارية تمأماً شعرها أبيض كالثغام و خيطي الدم المتخثر مازالا يندفعان من الفم .. يسقطان على يدي .. ألثمهما .. تصيح في المغسلة العجوز معروقة اليد بصوتها الغليظ " خذيها عليكي يا شابة " أشد جسدها المبتل الذي كان بديناً إلي .. يلوح لي في خفة ريشة .. أستر عريه بجسدي ..

أتكور أتقلص .. أضمها إلى مثلجة بيضاء .. تلقي عليها بالماء فلا تجفل .. لا يطرف جفناها .. عيناها الوديعتين نصف المغلقتين مثبتتان عليّ مازالتا .. تطل منهما نفس النظرة المعذبة الأسيانة تدهس قلبي .. تصهرني في بوتقة الحزن .

في الليل أصعد من جديد .. أقف بين الجبلين .. تهدهدني الصقور و الحدآت و ينعاكما غراب بصوته الذي أصبح يطربني ليدق نواقيس النهاية لهذا العالم .. يخلع حلته من الريش يسبغها على فأمشي بين الناس .. مشدودة القامة .. مدلاة الروح .. بلا هدى .. ذراعي خاويتان لطالما طوقت بهما حضنك و ارتميت و ارتويت .. و طوقت بهما جسدك يا أبي الذي فقد حتمية الحركة فأصبحت أنا الذراعين و القدمين .. أناديكما بالمتبقي مني .. أين مني الأمس القريب .. طفلة كانت لي أم تغطيني بمظلة حنانها و يفيض على أب بالحب .. تمشطني أمي و يصحبني أبي للمدرسة يحمل عني حقيبتي .. يدور بي في الهواء .. مدللاً بأعذب الأسماء .. و يدور و يدور و يدور .أتأمل عيني : أهاتان يوماً اكتحلتا برؤيتكما ؟ أهاتان اللتان طالما شهدتا في العش البهيج أوقات المرح و القفشات ؟ . هاهي الصور في كل مكان تشهد و تؤكد ذلك .. إن هذا البيت شهد كل الأفراح أبعثر الصور .. تتناثر كأوراق الكوتشينة .. ترتفع تهبط .. تسقط ترقد تحت قدمي كأجنحة فراشات مذبوحة .. و أخر تطل من الحوائط موفورة الصحة و العافية مكتنزة

الأوجه .. لكن تقف الذاكرة عند المنحني الأخير فتطل صورهما صفراء باهتة كهبات عزرائيل ..

يطل على النيل .. ألمحه يختفي سريعاً مخلفا أعمدة النور و الأشجار .. تلتقطه عيني.. لمحة .. فلمحة .. تتخاطر الصور فنحن في رحلة العودة من مدينة النيل .. تتهادى السيارة على الطريق المتثائب .. تتعاقب المشاهد .. سريعة متلاحقة .. مريضة أنا حزينة غاضبة .. باكية .. يدها الحنون تمسح و تداوي و تخفف ابتسامتها .. نظراتها .. كلماتها .. ضحكتها .. ألمها .. الإبر تنغرس في جسدها المزرق تنشر رايات الاستسلام .. الدم .. الألم .. النشيج .. البكاء .. النزيف .. البقع .. الصراخ .. الدعاء .. الصلاة .. ينبلج خيط من الضوء يشق الظلام .. نصل للبيت .. ألج غرفتها موقنة هذه المرة أني لن أجدها أتجه للمصحف الذي كانت تقرأ فيه قبل رحيلها أتلمسه أضمه لصدري أجلس في فراشها أتنسم عبيرها .. أقرأ حتى يغلبني النوم و أنام .. و في الليل أراني أقف في الوادي السحيق بين الجبلين و أظل أصعد و أصعد و أصعد

زيـــــــــــارة

سلكت هذا الطريق مئات المرات .. حفظته عن ظهر قلب .. لا يضايقها سوى كعب حذائها المعوج الذي تنسى دائماً إصلاحه .. عند البوابة تقابلا .. كان يهبط من المر سيدس السوداء .. صبيانه يتهافتون حوله .. يتصارعون أيهم يفتح له باب السيارة .

حياها بإيماءة مترفعة .. ابتسمت بتوتر .. دلفت مسرعة .. أرسل أحد صبيانه خلفها أوقفته بإشارة من يدها فهي تعرف الطريق جيداً ما زال عندها نفس الرهبة لم تفارقها منذ المرة الأولى التي اجتازت فيها هذا الطريق .. تتمتم بعض الآيات القرآنية تكسر بها حدة الطريق الموحش المترب .. ستجد الآن في آخر الطريق .. الصنبور..

ستتجه بعده يميناً ثم بعد عدة خطوات إلى اليسار .. عند الشجرة العتيقة الوارفة .. هناك ستجده ينتظرها .

أخرجت المصحف و بدأت التلاوة .. جاء رجل يرتدي جلباباً حائلاً و صاح بصوت جهوري .

قرآن ..؟؟ أشارت له إلى المصحف بيدها.

جاء آخر يحمل دلواً من الماء.. قطعت التلاوة وبختة على الصبارات المصفرة .. و على الحوض السفلي المهمل .. وعد بتغيير الصبارات في المرة القادمة التي لم تأت أبداً.

لاحظت جرذاً أختفي بين شقى المقبرة و برصاً أطل برأسه من ذات الفتحة و اختفى .. اقشعر بدنها .. صك أذنيها صياح امرأة تنهر طفلها من اللهو بعيداً عنها .

أغلقت المصحف .. حاولت أن تحدثه ككل مرة .. لكنها شعرت بأن روحها أرضية لا ترتفع عن الأرض سنتيمترات معدودة .. أن روحه لا تحلق اليوم حولها .. لا تطل من خلف أوراق الشجر و لا مع همس الطيور و

تنشر هذه الرائحة العبقة الغامضة .في الطريق تذكرت أن عليها أن تشتري بعض الأدوية لعلاج والدتها المريضة و بعض أرغفة الخبز للإفطار .

و هي تصعد السلم شعرت بوخز في أطرافها يؤلمها .. استقبلتها ابنتها الصغيرة بسعادة .. تقافزت حولها سألتها في نزق " لماذا لا تأخذينني لزيارة جدو؟" خطر في بالها أكثر من إجابة لكنها بدت جميعاً غير مقنعة .

فهرس

رسالة في زجاجة بالمحيط

راودتني كثيراً فكرة رسالة أرسلها إليك .. و في زجاجة ألقيها بالمحيط .. قد تصل إليك أو لا تصل لكن عبئا كبيراً انزاح عن عاتقي لمجرد تفكيري في فكرة كهذه لا أدري من أين أبدأ ..

ذكرياتي معك كثيرة جداً.. لكن كلها مثيرة للأشجان .. هل أبدأ من الحب الصافي الكبير و نبعه المتدفق بلا توقف ..؟أم لحظات منا سباتنا السعيدة القليلة التي كنت تصر على الاحتفال بها و تسجيلها صوتاً و صورة مهما بلغ بك التعب مبلغه .. لأنها قد لا تتكرر ؟ أم تباعدنا و تلاقينا .. تهاتفنا بالآراء .. متفقان أم مختلفان .. متعة كبيرة المناقشة معك .. مع عقلك الكبير قبل أن يصيبه العطب .. تمثال كبير أنت فى العين و الفؤاد .

صورتك الآن بشريط أسود .. تستقبلني في مدخل الشقة .. ترقد فيها .. ترقبني بعينيك حتى آخر لحظة و أنا أسبلهما لك .. نظراتهما تتبعني .. تودعني .. فيهما كلام كثير .. أسبلهما لك من جديد .. تتكسر نظراتهما و تتجمد على وجهي .. ترتسم فيهما نظرة إشفاق .. أين أجدك ..؟ أبحث عنك في كل مكان .. لم يعد لك مكان ثابت.

أصبحت شارداً .. أراك في الأفق .. في كتبي .. و أشرطتي .. و أحلامي .. إلا المكان الوحيد الذي ظننت أن أجدك فيه .. أعود خاوية الوفاض ..

يلسعني الرخام الأبيض البارد .. و تصدمني اللافتة العريضة و عليها الاسم و التاريخ .. فأستدير إلى فكرة الرسالة . لكن في أية قارورة من قوارير عطري الفارغة أضعها لك.؟

لم أعرف حتى الآن السبب الحقيقي لترك هذه القوارير .. هل لأنها كانت هدية منك ؟أم لأنها تذكرني بطلتك علي عقب كل سفر قصير أم طويل فأمكث أياماً قبل وقوعي علي قارورة بعينها ؟ .. خوفي هو الذي سيحدد اختياري.. خوفي من أن تستقر القارورة في القاع .. كنت أود أن أختار الأجمل و الآن يا حبيبي قل لي.. من على أي شاطئ زرناه معاً القي بالقارورة و أنا لا أعرف من العنوان إلا أوله .. شارع عامود السواري(١).. رقم ...

---

(١)مقابر بالإسكندرية

الباحثة عنك دائماً

حنان

فهرس

هل ...؟ ...لا ...!

قصة قصيرة بقلم / حنان سعيد

تعلقت ْ نظراتي بعينيه .. نظر إلي في ثبات ودون أن يطرف جفنه السلحفائي أطلق رصاصاته .. طاخ .. طيخ .. طراخ .. صرختْ .. انتفضتْ .. رفرفتْ روحي .. حاولت الهرب كدجاجة ملتاعة .. لكنى سقطتْ.
كان يسأل و ذو الجفن السلحفائي يجيب بنفس النظرة الثابتة والنبرات النحاسية " هل؟ " فيجيب " لا " " هل؟ "
" لا " كل الإجابات معلقة على بوابة " لا " مع كل " لا " مسمار يدق في جسدي المصلوب فتنزف روحي ومع كل ا
" هل " كائن عملاق داخلي .. يتقزم .. يتقلص .. يذوب .. يتحول لأقل حشرة تسعى على الأرض .
أمضى قدماي تحملان جثماني .. تسيران بالقصور الذاتي .. هو يقود خطواتي .. أتكئ عليه كضرير .. كلمات مواساته تفقأ الصمت .. تنصب كقطرات من ماء

النار على جروحي المتقرحة .. أصرخ في ألم " كفى " يصمت ..الرصاصات الثلاث لم تخرج من جسدي بعد .. مازال صوته يصك أذني " طاخ " الطفل " طيخ " لابد " طراخ " ينزل هدير محرك السيارة واحتكاك العجلات بالأرض يجأر " لا " " لا " عقلي يصرخ "هل ..؟ " " هل ..؟ " بندول يتحرك بين هل ولا ... في حزن في يأس في ذهول .

النبتة التي نمت في حشايا الشوق وتغذت على دم العروق وحنين القلب و نبضات الأمل . الحلم بأني سألمس أخيرا قطعة اللحم الأحمر الحريرية الملساء وأصابعها الخمس ذات الجلد الناعم المكرمش .. سأحمله بين يدي .. أضمه إلى صدري .. ألقمه ثديي .. سيملأ كوني صراخا وبهجة وحياة .. سأهرع إليه في الليالي الباردة أدفئه بين ضلوعي وأروى له حدائق الخيال .. هل سيصير مهندساً ..؟ أم ضابطاً..؟ أم فناناً ..؟ يجيبني كأنه يسمعني .. ينقر بطني .. يتكور بأحد جوانبها في عناد معترضا .. كلا ليختر ما يشاء .. هذه رغبته .. ينطلق فرحاً " يبلبط " في بطني من جديد .. كيف أجتث روحي ..؟ هذا عمل شيطاني لا أستطيع إتيانه .. من حصد فرحتي واغتالها .. من أطلق رصاصات لا ..؟

إنه لا يملك رحماً مشوقاً أضناه طول الانتظار .. لا يملك بدنا محروما تصحر حتى جف واحترق .. لا يملك فؤادا

يهصره الألم كلما سمع كلمة " ماما " أحد عشر عاماً يهصره الألم .
قالوا لن تنجبي من رجل لا تحبينه الإنجاب " فعل " حب .. راوغت قلت الإنجاب روتين.. هل كل قطط الشارع في حالة عشق ؟ .. ماطلت وفى النهاية أذعنت .. حملت صك حريتي وطرت أبحث .. وتزوجت .. إحدى عشر عاماً أمارس كافة طقوس العشق .. أحمل معي بطني الخاوي .. كبيت مهجور .. إلى أن تيقنت فأينعت زنابق القلب أقام جسدي مأدبة فرح .. اندفعت في نزق طفولى أشترى اللعب واللفافات وملابس الدمية وانطلقت قنابل النشوة الموقوتة .. أشترى وأشترى .. سريراً وغطاء وعربة ملونة و و و ..
هذا الحصن الذي شيدته ووضعت أساساته بدمى . كل هذا تغتاله .. حشرة ..؟ أقل ؟ بل أحقر .. أضأل فيروس ..؟ ينتقى من كل أجنة العالم ويحط على زهرتي أنا .. من أين تسلل ؟ كيف غافل خطوط الدفاع في جسدي ليئد آخر أمل لي ويقصف عمر سعادتي ويقذف بي في جب اليأس .
الاحتمالات من ٠,٥ إلى ٢ في المائة هل سينجو ؟ هل أستمر ..؟ سيكون مشوها أو متخلفا أو أصم أو أعمى أو ذا طحال وكبد متضخمين .. أينجو ؟
هل يا حبيبي يستطيع زورقنا أن يعبر بنا لأرض الأحلام الخرافية ونسير معا يدا بيد وأنت صحيح معافى أعلمك

المشي تاتا .. تاتا .. أحملك أرمى بك في الفضاء البعيد العالي فتصيح فرحاً ثم ترتد إلى فأتلقفك .. فتزقزق ضحكتك .. كأجنحة فراشات صغيرة ؟.
غرفة العمليات مجهزة .. أنا أرتدي كفني الأبيض .. مسجاة كموميا ء .. يندفع بي" الترولى" في ردهات .. المستشفى مازال أمامي متسع من الوقت لأدخل غرفة العمليات أستطيع الفرار الآن .. أستطيع القفز من الترولى .. أستطيع أن أنجو بك وبي أستطيع وأستطيع لكن .. هل أستطيع .. هل .. هل ..؟ .

كم مرة كانت تغشاني حالة موحشة
من الجيشان•• تنذر بشيء ما سيسود
الصفحات التي عاندتني ببياضها شهورا
دون أن تفلح عنة قلمي في مراودة
الورق وإنهاء حياده ••• الفظ
زفراتى••تنفرط منى •• تترجرج
حباتها متراقصة تتساقط ••
تتهشم تعلن فشلي •
أغوص في كتبي ••أسائل نفسي
كيف يكتبون ؟••كيف تنساب
أقلامهم في سلاسة ؟ ••تنزلق
منهم الكلمات على الورق بلا جهد
وأنا أعاقر الورق شهورا •• أحمل
مصابيحي النيونية في وسط
رأسي •• أتجول •• أسير بلا
طائل••ربما أتعثر به••أو يتعثر بي

••أو يسقط على رأسي أو أسقط أنا على راسه•
قال صديقي ذو الشعر الأبيض بخبثه الخمسيني مقترحا في "براءة" أن أعيد جدولة أيامي بإضافة وهم جديد ربما ينفض عنى عباءة الملل لم يشر صراحة لمغزاه••لكزته باستنكار غير حقيقي وبراءة مزيفة تشجب عرضه زاعمة حكمة مرتجلة لشحن فضاء الموقف بأن الذي لم يخبر الحب ولم ينل من جسده المرض ولم يطرق الموت باب بيته ليس في حاجة لإعادة حساباته•
أحيانا يحمل تاج الشعر الأبيض" سذاجة" معاكسة ربما" يكتسبها" الكبار مع الزمن وبما انه لا يوجد برنامج لإعادة المفقود في البشر فقد وطنت نفسي على تكفين رغباتي المستترة في جب

المسئوليات التي يجر بعضها بعـضا تلقائيـا بـدءا مـن درء ذرائـع الفـتن التي يمكن أن تنـدلع أحيانـا بـسبب إهمالي المتعمد لمتطلباتـه والتـي تبدو أحيانا سمجة ..لكنه يجد فيـه متنفــسا عــن إهمــالي متطلباتــه الأهم والتي يتفادى كلانـا الإشـارة إليهـا..وســوف تتكفــل متطلبــات أطفالي بتبديد الباقي من أجنحتي التــي تنمــو صــباح كــل يــوم" مــع الاعتذار لميم شين"ثم تتكسر على مـدار النهـار بـين التنقـل دوريـا بـين أقنعتــي والتــي مــن بينهــا جعبــة كبيرة يلقى فيها الآخرون بهمـومهم ..لتصبح كيسا ضخما من النفايات المهترئة والتي تحتاج إلـى محرقـة مـن نـوع خـاص..ولكـن لـيس مـن بينها دور لعاشقة وهذا ما لا يعرفـه صـديقي ذو الـشعر الأبـيض بينمـا يداعبني صديقي الآخر المـشاكس

بـأنني "مثـل الأســد الـذي هــرم فأصــبحت القــرود تتقــافز علــى مؤخرته"
أتذكر أياما عـشتها ٠٠ تـزور عنـى مباهج٠٠ ومتع تـولى عنـى الأدبـار ٠٠وتجلدنى كلمـات "عمـرو خالـد" يسقط منى أصدقاء وتلتحم بجلـدي أحـــزان لاتفـــارقنى وتتنـــاءى المــسافات بينــي وبــين أنــاس أحببـتهم٠٠احـذرى يـا أنـا هاأنـت ذا تتـورطين ٠٠ تخوضـين ٠٠ تقتـربين ببلاهة من الهدف ٠٠ تحومين حـول الحمى٠٠وسوف تـصبحين فريـسة سـهلة ليـصيبك أي سـهم طـائش فأنــت واقفــة فــي قلــب المرمــى عارية من كل الأسلحة٠
هاأنذا أمد الجسور مع كـل الأشـياء التــي أحببتهــا ثــم أضــعتها مــن أجلك٠٠أنهى قطيعتي مع الـشارع ٠٠نفـس الـشارع الـذي اغتـالني

وابتسامته التي يذبحني بها على شفتيه ٠٠والذى كنت احرص كل الحرص ألا أمر بجانبه حتى البحر كنت أمر بجانبه وجلة والآن أعتقل يدي وهى تمتد لزر الإيقاف قبل أن تخوننى الذاكرة٠٠فأسير منومة نحوه ٠٠أخر راكعة ٠٠أعتذر عن خيانتي له مع حمام السباحة والتي كانت عذرا واهيا لزوج مخادع يخون امرأته مع أخرى ليست كفؤا للخيانة٠٠وان زندقتي كانت نزقا صبيانيا لابد من التكفير عنه الآن٠

هاهو ذا الرمل يتكوم محسورا تنفثىء فقاقيع الزبد تحت قدمي في عناق لحظى٠٠ بحرك يا إسكندرية عشق لاشفاء منه إلا بالموت٠

سأعود لكل ما أحببته دون أن أخفى ندبات عشقك في

روحي••لن أبكى عمري المذروف على الطرقات فأنا لاأملك إلغاء ذاكرة الشوارع التي نسجت حزني على جنباتها •• تجوس الغربة في أوصالي أتلمس الأمكنة بحذر شديد كأنى ما خبرتها ولاخبرتنى كأنها ما شهدت ابتلاعي لأحزانى الدونكيشوتية ولا خيباتى المكرورة التي قهقهت لها كل جدران المقاهي ومباسم الشيشات الندية•

وأنا الملم في الذاكرة نقاط التقاء كتل جسدك ببعضها اكتشفت أنى أحاول قص مقاسات كل البشر عليك وعندما أحاول لي سن قلمي العاصي ليكتب عما سواك أفاجأ بكون البشر من دونك مسوخ تجعل سنه يلتوي كلسان معاق•

سأعود بروحي المنكسة انفض ضحكاتي وتفاؤلي على الذين لا

يعرفــون ويحــصد الــذين يعرفــون المزروع في حديقة الحـزن دون أن يتململـوا فعلـى جبيـنهم تركـوني في- تواطؤ مزدوج- أنقش حـروف قــصتي التــي صــاروا فيمــا بعــد بأريحيـة شـديدة يتنـاوبون الـدخول والخـــــروج فـــــي أحـــــشائها ••يتلبـــسوننى بعـــض الوقـــت ويتبــادلون معــي الأدوار ليمنحــوا روحي المتعبة قليلا من الراحة•

فهرس

الفصل الثاني

نرجسيات

فهرس

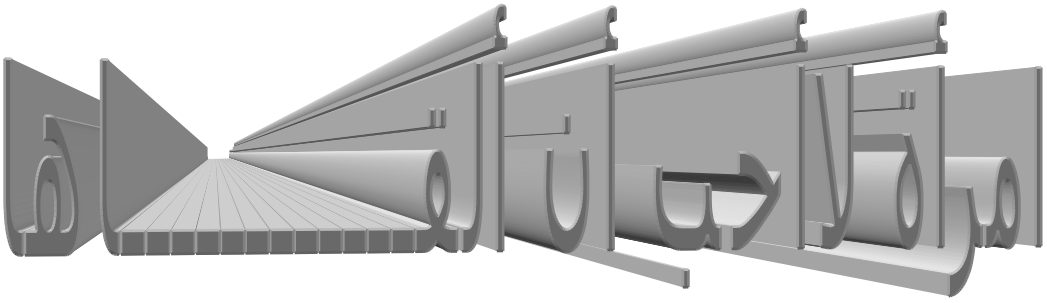

امرأة لا أحب أن ألقاها

امرأة لا أحب أن ألقاها

(١)

لم تكن مفاجأة لي .. اندفع زوجي يمطره بسيل من الأسئلة .. كان يجيب بتؤدة و بلادة الأطباء المعتادة التي اكتسبوها بفضل خبرات كثيرة مع الألم و المرض و الموت .. بألا نسبق الأحداث و أنه مازالت هناك فحوصات و تحاليل و و .. .. إلخ

لم يكن أسمه غريباً على أذني فقد ترادف في عائلتي مع الموت .. دائماً يبدأ الأمر هكذا كجرثومة لا نحس بها .. نتجاهلها فتتعملق و تتكاثر .. تتقنع حتى تجند خلايا الجسم الدفاعية لحسابها إلى أن تصبح أنت في النهاية من تؤوي عدوك تحت جلدك .. يتغذى على دمك و خلاياك رغماً عنك .

(٢)

في طريق العودة سلك السائق بنا طريق البحر .. كان يقود ببطء .. صديقي البحر معي في كل أحداث حياتي .. عمر كبير صغير فر بي في غمضة عين و التفاتتها .. ظمأ سنين و أحلام تتمطى كقطة كسول .. ثم ينسحب بساط الأيام سريعاً من تحت أقدامنا .. تمنيت دائماً أن أغير جلدي .. غدوت ثعباناً عجوزاً لا يملك تغيير جلده .. لن أكون يوماً كياناً سليماً لو قدر لي أن أكون .. حتى أفرغ ذاتي من هذا المرار .

(٣)

فور وصولي اتجهت للمرآة .. صعقتني صورتي .. تأملت التجاعيد التي تسللت بخبث تحت عيني .. منذ متى امتصتني الهموم هكذا و طبع الزمن بصماته على وجهي .. تأملت بشرة طفلتي الناعمة ليتني مثلك حبيبتي صفحة بيضاء لم تدهسها التجارب و يغزل الزمن خيوط الهموم على وجهها .. أنى لي بذلك الطهر و الملائكية و قد منحت ذوب نفسي و عصارة ذاتي لجوقة من مصاصي الدماء آخرهم كان ذاك الذي سكن تحت جلدي دون أن أدري ليصحبني لرحلة شقاء لا أعلم

أين منتهاها تتضاءل أمامها كل آلامي .. كأني أركب طائرة هاوية من قمة جبل فأرى الدنيا كلها في حجم علبة ثقاب .

(٤)

منذ عدة سنوات شكوت للطبيب من بعض التجاعيد الرفيعة التي ظهرت تحت عيني إثر " رجيم " قاس .. فسألني في استخفاف عن سني .. بوغت و أجفلت للحظة .. قاسياً كان سؤاله .. كففت أن أعد السنين منذ أن بلغت الثلاثين أقلعت عن أن أحصيها .. أردف بنفس نبرة الاستخفاف " هذا أمر بديهي .. عوامل سن ! " .. تراجعت وقتها أن أفسر له أن ما حدث ليس طبيعياً لأنه لم يكن تدريجياً .. تراجعت كلمات كثيرة .. ألجمت لساني و انصرفت من عنده تائهة .. أظن القدر وقتها كان يخرج لي لسانه ساخراً لأنه كان يدخر لي ما لا أعلمه

(٥)

ابتسامته الذكية ابتسامة تدرب عليها طويلاً .. هاهي الإبرة جاهزة .. سيدسها الآن في جسدي ليسحب منه عينة .. مصيري معلق على بوز قطعة حديدية لا يتعدى قطرها ملليمترات .. صراخي .. فزعي .. رعبي .. مسميات وهمية لا تعني شيئاً له .. هو بجانبي يشد على يدي .. طفلتاي المسكينتان تنظران إلي في بلاهة .. تذكرتك فجأة يا أبي يوم أن قالت الأشعات أن التنين الخبيث أحتل جسدك .. لم أستطع أن أصارحك رغم كل قنوات الصدق الممدودة بيننا .. أنكرت أني أعرف و يا لهول ما أعرف .. لقد قالوا لي و قولهم الفصل .. "ابتعدي عنه في جلسات الإشعاع حرام معك أطفال "

لا تسامحني فنرجسيتي .. أنانيتي .. خوفي على ذاتي جعلتني أنصاع و أنحني كشجرة هرمة استؤصل جوفها فانحنت على خواء .. أسلمتك للزبانية .. ألقى بك كما ألقوا يوسف في الجب و أنتظر معجزة تنجيه .
لا تسامحني لأنك لو كنت مكاني لما جحدتني .. لما قوى قلبك الرهيف على إلقائي في جب البأس .. لا تسامحني فحبك الكبير لم يطهرني من رجس الأنا و خبث الخوف .. أوحشتني كثيراً الآن .. أكثر من أي وقت مضى .. أحتاج صدرك و سادتي و اسفنجة دموعي .. حبي لك الآن حريق يصهر أضلعي فيحيلها صلصالاً .

(٦)

أطلت على الشمس بوجه مربد من خلف زجاج النافذة لمحت عنكبوتاً نسج خيوطه .. منذ متى لم أقم بتنظيف هذه النافذة .. ؟ منذ متى لم أفتحها ..؟ لم أسمح لأشعة الشمس أن تتخلل غرفتي .. اصفر الزرع في الشرفة و سقطت أوراق كثيرة منه .. لا شيء حي يمكن أن يعيش لي .. جربت النباتات و العصافير و أسماك الزينة .. كل هذه الأحياء المسكينة نفقت و لم تتحمل إهمالي لها .. الموت هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يصالحني على الدنيا .. حتى أبي و أمي لم يصالحني عليهما سواه .
كانا يرياني جامحة كفرس بلا لجام.. و الآن أطفالي يريدون أماً .. كلهم أطفال .. و أنا طفلة أريد أباً و أماً .. لو يعود بي الزمن قليلاً قليلاً للوراء .. لكنه أبداً لن يعود .

(٧)

أنت لا تحتاج إلىّ يا زوجي .. هذا ما توصلت إليه .. بمجرد أن اطمأننت على سلامة العينة و خلوها من المرض الخبيث عاد كل شيء لسابق عهده .. حتى لمسات الحب و الحنان كانت سحابة فضية تبددت مع شمس الصباح .
كم من الآلاف من المرات مررت بجانبي فلم ترني .. لم تر جفنيّ المقروحين من سهاد و لا عينيّ الرائحتين الغاديتين لا تستقران .. أرضى أنت كسائر المخلوقات ترى كل شيء بمسمياته .. الأرض أرض و السماء سماء .. متربصان كلانا بالآخر .. بيننا منطقة حدود عليها أسلاك شائكة .. و ألف مصباح يضيء و ينطفيء .. أسأل ذاتي لِمَ تزوجته .. ؟ خوفً من الزمن .. أو رغبة في الأمومة ؟.. لا شيء نتبادله سوى الصمت المطبق أو الشجار العنيف .
يبدأ يومه بتكشيرته المعتادة .. و أبدأ بمصافحة الأواني في حوض ما أن يفرغ حتى يمتلئ .. أعد السندوتشات .. و أكواب الشاي بالحليب .. و ألبس الصغار و أهبط بهم للشارع حتى ولوجهم باصات المدرسة فأعود من جديد لأصارع كل جمادات المنزل من غسالة و ثلاجة و بوتاجاز .. ماراثون كل يوم المفتوح .. ثم لعبة قفز الحواجز مع المواصلات .. تفاصيل سمجة تنتهي آخر اليوم بالبحلقة في غباء في الترهات التي يقيئها هذا الكائن الذي يسمى تليفزيون .

(٨)

منذ أن تحدد موعد العملية التي سأجريها لإزالة الورم الحميد و أنا أفكر .. تمور في ذهني أسئلة .. لا أستطيع التركيز في أفكاري .. تطفح في ذهني بلا رابط .. لا أستطيع محاصرتها

.. أحياناً أتمني أن أجلس على كرسي الاعتراف و أتطهر .. هل تعرف يا عزيزي من ذا الذي يسير مزاج زوجتك .. إنه ذيل الكلب المعوج .. هذا الكريه الذي أحببته حتى كرهته و كرهت نفسي معه .. أصبحت سوداء المزاج لا طاقة لي بتحمل أعبائك و مشكلات أطفالك .. من ذا الذي أشكو له ؟ من ذاك الذي سيدرك و يفهم دون أن يجلدني بسياط الدين و الضمير هل تعرف من هو .. ؟ هل تعلم أنك من دفعتني إليه و سأظل أحوم حوله كفراشة حتى يحرقني .. ويل لقلبي فمشاعره أصبحت عهراً أمنحه لمن يدفع قرابين أنانيتي و يريق الحب على مذبح نرجسيتي ثم بعده أظل أتجرع كؤوس الألم و العذاب لقلب ميت يحتاج لآلاف من عمليات التدليك و التنفس الصناعي .. أي قلب جسور فدائي ينذرني .. له فأصبح قضيته فيفرغ أيامي من قتامتها .. كلهم أخساء حتى ذيل الكلب المعوج .. الصعلوك بكل ما فيه من نظرات الوله و الذلة و المسكنة : السيدة راحت .. السيدة جاءت .. من دكته على باب العمارة يندفع مهرولاً ورائي يتبعني كذيل الكلب يحمل عني أشيائي مطأطئاً في خجل مزعوم .. أنا من محوت الفوارق بيننا .. تاهت نظرات الوله و التمني أصبحت نظرات واضحة وقحة محددة .. تعرف ما تريد .. يطلب و كأنه يأمر .. يرجو و كأنه يبتز .. يتوسل و كأنه يتوعد .. كم ألفا من الجنيهات سحبها بنفس نظرة الخنوع .. من ذاك الأحمق الذي قال أن قلب المرأة لا يكون إلا لرجل واحد .. ؟ قطعاً أنه رجل أراد أن يستلب لنفسه طمأنينة مزيفة فأي قلب ذاك كان قلب "مدام بوفاري" التى ماتت حباً و أي فيلسوف ذاك الذي قال أنها كانت بغياً فلم تحب سوى الحب ذاته و لو أحبها رجل واحد فقط لأخلصت له حتى الموت .

زوجي يراني عقلاً و ذيل الكلب يراني جسداً و " س " يراني روحاً لا شيء ينخس ضميري و يذبحني و ينغص حياتي سواه .

(٩)

لا أدري منذ متى احتلني هذا الكائن و لا كيف و لا متى بدأ يسكنني حتى بت غريبة عن كل شيء سواه بت أجد فيه سكني و واحتي .. أهجع إليه وحده .. أجعله وسادتي فيجعلني حضنه الأثير أتكور و ألوذ تحت جناحيه فينسدل الظلام على الكون .. أصبحت لا أجد نفسي إلا في أحضان وحدتي و حزني .. أما هو دائماً كان بعيدا .. لكن أبداً لم يكن ببعيد.. يظهر في أزماتي .. كأن بيني و بينه لغة اتصال عن بعد .. يظهر لي كفارس خرافي يمتطي صهوة جواده .. يظهر قافزاً أسلاك التليفون أو خارقاً حاجز المكان يسألني "ماذا بك ؟" أتعجب كيف عرفت .. ؟ " " قلب المؤمن دليله " أين كنت من زمان يا "س" بمجرد أن ينتهي احتياجي إليك لا أجدك تتبخر كجندي من السماء وضعه اللّه في طريقي لحظة يأس ثم يختفي .. أسأل عنك أطاردك في مكان عملك .. في بيتك .. دائماً لا أجدك فأعرف أنك ستمتطي صهوة جوادك من جديد لتنقذ أخرى أو آخر يحتاج إليك .. أبحث عنك في كل مكان لا أجدك لكني أعرف أني سأجدك وقت أن تتصاعد أزمتي لكن أرجوك لا تتركني حتى تحترق أضلعي .. أنقذني قبل أن أصير رماداً .. تظهر أمامي أتمنى أن ألمسك .. أحتضنك أخاف أن أحتضن فراغاً .. تسبقك هالة النور التي تؤكد لي أن مثلك لا يعمر كثيراً في هذه الدنيا تحتضن كفي تنبس بكلمة "أحبك " .. أبكي بدموع حقيقية من أجلك وحدك تمنيت أن أكون صفحة بيضاء لم يفك شفراتها إنسان .. عيناك متفهمتان فيهماً زهد كبير في الحياة .. تمنيت أن أبوح لك بسري الذي يذبحني .. عيناك توفران علىّ مشقة كلام كثير .. روحي فقط احتفظت بها نقية من أجلك هذه هى

المنطقة القصية .. البعيدة المحرمة و الوحيدة في القلب التي أحتفظ بها لك وحدك بلا آثام .

(١٠)

إلى متى سوف أحيا تلك الحياة المزدوجة المليئة بالخزعبلات و الأكاذيب و البدع إلى متى ؟ لا أدري كيف حدث ذلك لي دائماً وحيدة لا يطرق بابي مخلوق .. أحيا كقرد تقطعت به الأسباب .. ربطه حارسه بسلسلة في قفص .. غاية أحلامه أن يقفز لقمة القفص ليلتهم إصبع موز .. معي طفلتان إحداهما ترهقني بأسئلة تريد ذهناً حاضراً .. و فؤاداً خالياً لا تعيث في أنقاضه المظلمة خفافيش و لا تنعق في سراديبه غربان ، و الأخرى لا تملك لنفسها ضراً و لا نفعاً .. خلية صغيرة متطفلة على خلية أم تمتص طاقتها حتى النخاع .. ما يتبقى فيّ قليل .. أما زوجي فما أبدع الأزواج كم يتفننون في جعل الحياة روتيناً سخيفاً يصيب الملائكة بالملل .. لا يشعر بآلامي .. سادر في العمل و اللهو و الأصدقاء .. و أنا وحدي أسمع هسيس هشيمي يتناثر و تذروه الرياح .. يتركني في مواجهة دائمة مع الوحدة .. قدري هذا و قدر معظم النساء ، لكن قدر عليّ . و في لحظة أن تتحول مشاعري عنه .. هو من درت في فلكه سنين .. من قضيت عمري أمد بيني و بينه جسور المحبة يركلها بقدميه .. من يصدق أني لفظته من بؤرة إحساسي و اهتمامي ليتحول هو في لحظة غير مسبوقة إليّ بكل جوارحه و أنصرف أنا عنه لصقر جارح ينقض عليّ بفخاخ مشاعره .. تارة يصيبني مده فأغني مع " نزار " سأغير التقويم لو أحببتني أمحو فصولاً أو أضيف فصولاً .. أو يقذف بي جزره لأبعد شط منبوذة محطمة لنقف جميعاً في طابور طويل كل ينظر لمن يوليه الأدبار و خلفه

يقف من يحبه فلا يفطن إليه .. في هذه اللحظة يطرق بابي هو بنظراته الولهى كأني رب يعطي .. فأتجاهله يخلق الذرائع ليطرق بابي يسألني هل تحتاجين إلى شيء ..؟ و أنت تدفعني إليه " كلفيه بأي عمل إنه ولد مكافح يدرس بالجامعة و يعمل ليساعد اخوته " " أنا لا أحتاج لشيء " " عندما تحتاجين اطلبي منه فهو ولد طيب " " لا مانع " "أنه لا يأنف أن يعمل أي شيء حتى القمامة يرفعها سعيداً راضياً آلاف الكراكيب التي تملأ المنزل أتخلص منها فيحملها رغم ثقلها بذراعين فتيتين مرسومة عضلاتها .

لأول مرة في لحظة فارقة أتطلع إليه كانت أنفاسه متلاحقة من ثقل حمله .. وقف متسمراً قبالتي .. حبات عرقه تتلألأ على جبهته .. وجه عابر أراه كل يوم فلا يلفت نظري .. لكني في هذا اليوم لا أدري كيف رأيته كانت نظراته كافية لأن تذيب جليدي و بفراسة و حذق أبن بلد مُحنّك قضى عمره على أرصفة الشوارع يلتقط الإشارة و يوقن أن جهاز استقبالي استجاب لها .. يدرك أن البرقية قد وصلت .. رأسه الكمبيوتري يعمل بسرعة مليون لفة في الثانية .. " اطرق الحديد ساخنا " كانت النظرة كافية .. امرأة في أزمة .. في احتياج عاطفي و إذا به بلا كلمات يتلقفني بلهفة قناص لصيد طال انتظاره يجتاحني طوفاناً فأتداعى بلا مقاومة .. لا أدري كيف لهذا الصعلوك أن يملك مفرداتي و يحيل حياتي الجدباء مروجاً زاهية أسطورة أن يملك هذا " العيل النزق " إتيكيتاً يعاملني به كسيدة صالون .. هانم راقية .. يربض تحت قدمي كعاشق من عصر بائد يتعشقهما و يقبل كل إصبع على حدة .. مبدع في اختيار النظرة .. الكلمة .. التوقيت .. يضمني فتختلج أضلعي فإذا حياتي قبله هباء منثوراً .. يأتيني فينشر حولي ورداته فأتدثر في عباءة جسده الأبنوسي المشعر .. ثم يلفظني أياماً و يعود كأنما قد قد من جليد يخاطبني ملحقاً

اسمي بلقب " هانم " أو سابقاً إياه بلقب " مدام " ليقطع علىّ الطريق مدعياً أن صحوة ضمير مفاجئة واتته .
فتشتعل حرب المناورات بيننا فأهدده "بقطع رزقه " فيستسلم بذلته المعتادة و لا يهنئني بلذة انتصاري فكأنما كنت عبئاً مريعاً يرزح تحته و كلما أردت استرجاعه أفقده أكثر إلى أن يطيح بي كفردة حذاء قديمة ليصنع لي مداراً آخر من مدارات إخفاقي الأزلي في الحب .

(١١)

و الآن أنا وحدي .. أمامي فنجان قهوتي و علبة من السجائر .. حتماً بعد ساعات لن يتبقى منها سوى رماد هذه هى اللحظة التي أنتظرها و أهرب منها و أتفاداها بسائر الحيل بعد بضع ساعات سأكون بين يدي اللّه .. إن نجوت فأن عمري الماضي و الآتي سيقف أمامي سيطل علىّ كرؤوس جماجم مستعرة حمراء يتصاعد لهيبها من الأعين و الرؤوس .. لست عقلاً و لا جسداً و لا روحاً فقط .. أنا كل هؤلاء .. لم يحب هؤلاء معاً سواه .. لم يغازلهم سواه .. و الذي لن أتطهر إلا بخروجه مني .. سيدي و مكتشف قارتي الأول .. من سطر أول كلمة في معجم الحب .. و أول نظرة و كلمة و لمسة .. أول من علمني كيف أحب .. رغم كل أطنان الشقاء التي حملتها بعد أن تركتني دون كلمة وداع فما فعلته بي لا يقل بشاعة عن أي غزو بربري تتاري لأي دولة كانت في يوم ما آمنة رغم كل ما حملته لك من حب فأنت مسئول عن كل قطرة سم نفثتها في حياتي .. حاولت كثيراً أن أخلق لك المبررات و الأعذار لكني فشلت .. لم تشفع لك اعتذاراتك ومماحكاتك و لا تمسحك بالأيام الحلوة .. فكل هذه الأيام انقلبت علىّ مراراً .

تلوح وجوههم أمامي .. أعرفها و لا أعرفها .. كلهم يبتسمون لي .. ملابسهم بيضاء ناصعة .. يرتدون كمامات بيضاء .. قال لي صاحب أجمل ابتسامة فيهم " عدي من واحد لعشرة " آخر رقم أذكره كان ثلاثة .. كان يغرس إبرة في ذراعي بعد أن وضع كمامة على وجهي أنا أيضاً مبتهجة .. وجهك أنت أيضاً يلوح أمامي .
آن الأوان يا سيدي أن تخرج مني .. للأبد .. لأخرجك الآن قبل أن تخرج روحي مني .. فأنت على روحي عبء ثقيل لم أعد أستطيع حمله بعد الآن و لتنطلق روحي الآن خفيفة في الفضاء

فهرس

المتحولة

يغزل مناديلا ·· يطرز حواشيها ··نغماته تطفىء غليل قلبى ··تشعل قناديل ذابلة فى حلكة أرجائه ··تصبح أملا أتشبث بجدرانه المرتعشة ··أتسلقها قبل أن تتقوض فوق رأسى المنهك ··تتكسر مويجاته المتلاحقة ·· تلتقط غياماتى المربدة الموشكة على السقوط قبل أن تسقط·

جلادى يطبق على جسدى ··ينسلخ منى·· يرقبنى فى أوقات انسلاخى ··مدهش إحساسه ··يجيد التنبؤ بساعات زلازلى المرتقبة··يمنحنى لقبا "·····"

يقول لى إنك مع دوران مزولة ساعات اليوم تتحولين ·· فى الصباح زنبقة مرتعشة مغلقة الأهداب وفى الظهيرة زهرة برية متوحشة ··فجة الألوان ··وفى العصر زهرة عباد شمس ذهبية متوهجة تقتنصين أشعة الشمس تجتذبين خيوطها فتشع من عينيك ومن برونزية بشرتك ·· تتشكلين·· تتلونين تارة سمكة زئبقية

الحركة متماوهة الألوان٠٠وتارة تخرجين كبجعة سحرية تشق بجناحيها البحر ٠٠تنفض بللورات المياه من على جسدها ثم تستوى كائنا أرضيا بملامحك ٠٠ وبالليل بنفسجة حزينة تطوى سرها بين وريقاتها٠

بقوة الإشعاع الشمسى الكامنة فى ذراتك المختزنة على مدار النهار تضيئين ٠٠ تطلقين فوسفورية حجريك المتوقدين ٠٠ يلمعان ٠٠يرتفع منحنى بريقهما للذرى ٠٠لايعرف أنك مع رحيل قافلة الأربع وعشرين تتهاوين ٠٠تتبعثرين ٠٠تفنين تصبح غاية آمالك أن يلملم أحد بنات الأربع وعشرين ٠٠ يرتق أجزاءها ويطلق بخوره وينفخ الروح فى عظامها المتآكلة ٠٠لتبدأ دورة أخرى سوف تنتهى حتما مع آخر ساعات يوم جديد

وتذكرتك وأنا في مطبخي أسعى مهرولة بين الحوض الممتلئ بالأواني والموقد الذي عليه أكثر من قدر تغلى تنتظر يدي لتقلبها ٠٠ تتابع درجة نضجها ٠٠والغسالة المكتظة التي تلفظ دفعات جديدة من الملابس خاوية الوفاض ٠٠ مبتلة ترقد في استسلام يائس تنتظر يدي لتشجبها على الحبال فتطير وتهفهف في سعادة ٠٠ولفائف ابنتي التي تنتظر مزيدا من عمليات الدعك والتطهير فتغلى لتستعيد بهاءها ونصاعتها ٠

تذكرتك وأنت تلثم تلك اليد المنقوعة في مبيضات الألوان والصابون السائل ٠٠هل تدرى أن هذه اليد تمسك أحيانا "بالشبشب" لمطاردة صرصور هارب أو منفضة لإزالة التراب العالق بأهداب سجادة ٠٠ هل رأيتها وهى تنهال على مؤخرة طفلتي لتنهرها ؟ أو وهى تمسك بفرشاة المرحاض لتنظفه ٠٠وسلك المواعين لإزالة سواد اعتلى الأواني وأذهب بريقها ٠٠ هل تعلم كم تعبت لأزيل رائحة مبيض الألوان السمجة منها ؟ كم تعبت لأجعل يدي ناعمة لأنسيك كم تعرضت هذه اليد لعمليات بربرية وحشية ٠٠ كم احترقت بقذائف الزيت المقدوح ٠٠ومفرقعات السمن الذي يجيد اختراقها والتصويب عليها كأنها هدفه الأسمى ٠٠ أعجب وأنا أراك تلثمها ٠٠ وكأني انفلت من جلدي وتقولبت من أجلك ٠٠لأكون لك امرأة أخرى ٠٠ أعجب وأنا أراك تتأملها في وله ٠٠تطرى نداوتها وانسيابيتها وتتأمل وجهي ٠٠لاتدرك كم من أقنعة صنعت؟ قناع اللبن وقناع العسل وقناع الفاكهة وكريمات ترطيب البشرة

ومقاومة التجاعيد ٠٠ كم شددت بطني المترهل من عمليات الولادة المتكررة ٠٠كم بحثت ونقبت وأنا أنتقى ملابس أكثر خداعا ٠٠تدارى ما تراكم من شحوم تحمل في كل سنتيمتر منها تجاربا وعمرا وسنينا ٠٠جاهدت وأنا أسجن جسدي في مشدات للبطن والأرداف وبنطلونات مخنوقة محكمة تضغط أنفاسي لتقول لي أنى أبدو أصغر سنا ٠

كم تخابثت وتصنعت الغباء وأنا أري عينيك المتخابثتين تعابثان أثداء مراهقة أو مؤخرة أخرى ى- رغم يقيني أنها خصلة رجالية بحتة - أصبحت أسلم بأن السير فى دروبك اللولبية وأنا أجاهد بناقتي المتعثرة لألحق بطائرتك المارقة بسرعة البرق أمر مستحيل وأنى تعبت من الوقوف بوجه التيارات المعاكسة ٠٠ وأن الفرق بين عمرينا كان يمكن أن يصنع شابا مراهقا وأنى لن أستطيع يوما أن أحلم يوما أنى امرأتك وأنى لن أملك رفاهية أن أعيد ترتيب لبنات حياتي من جديد لتكون أنت فيها لأن أمك سوف تسقط مغشيا عليها ووالدك سوف تفاجئه أزمة السكر ٠٠ عندما يعرفان أنك تحب امرأة مطلقة لها أطفال وتكبرك بكثير من الأعوام

فهرس

موعد

تتشكل نتوءات أجسادهم أمامي ..
تلوح بعيدة .. تغدو قريبة .. أجساد
رجالية بديعة التكوين .. شعاب
مرجانية مسنونة بي توق شديد
لاحتضانها ..ولو أدمتني أشواكها
المشرعة وانغرست في صدري ..
يظل يداعبني أمل أن تستوعب أنصاف
تجاويفها ونتوءاتها أنصاف تجاويفي
ونتوءاتى ..كل جسد يحمل بصمة روح
ووشم ذات ..أتشكل ببصماتهم وأصبح
مائية التكوين أتشكل بالإناء الذي
يضمني .. شخصيات هلامية تحتاج لها

لتجتثك من ذاتك وتغير لك مذاق اليوم في سويعاته الست المملة ٠
سوف أجعلك تستمتع بأن تجعلني امرأة مكرورة ككل النساء وسوف أتظاهر بأني أشكرك على صنيعك لأنى سوف أتنازل عن واحدة من نسائي سوف أغرقها في زوايای المنسية وسوف أجاهد بألا أجعلها تطفو من جديد رغم يقيني بأن أوراقـــــها البنفسجية سوف تطفو من حين إلى آخر لتذكرني بأنها مازالت تحيا
سوف تستمتع كثيرا بأن تطوعني فأستنيم وأمنحك متعة تشكيلي من جديد ٠٠سوف نتفرج على أجسادنا تلهو بعيدا عنا ٠٠ تشغل مسافات الفراق الاختيارية وتلف في دوائر مستحيلة حول نفسها ٠٠تتحسس أبجديات التعارف الأولى وتتظاهر باكتشافها لأول مرة ٠٠ وتستنسخ لحظات الصدمات النادرة المفاجئة الأولى لالتقاء جسدينا ٠٠ كل هذا سوف تتذكره عندما نجلس سويا جنبا

إلى جنب في محافل اعتدنا أن نتقابل فيها كغرباء •• دوائر تجمعني وإياك وبشر آخرين سوف تتضرج وجنتيك بالاحمرار عندما يذكر اسمي •• وسوف أتظاهر بأني لم أصغ جيدا لتهويمات حروف اسمك بينما يتردد صدى مقاطع حروفه داخلي في تباديل وتوافيق لاتنتهى•
سوف تتقن تجاعيد جبهتك التركيز عندما يعرفك أحدهم بي •• وسوف أضيق من حدقة عيني وأنا أركز بصري لأنفذ لمركزي عينيك السوداوين ••وأهز رأسي علامة الترحيب بك
سوف اركب سيارتي وأنا أوقن أنى مازلت أحمل في انسحابي قطعة منك سوف تلتحم فور انسحابي من وجودك بوجودي على حافة هذه الدنيا•
وعندما تجلس وحدك في الأصائل سوف تتذكر أوقاتنا المدهشة سوف تهمي عليك اللحظات وتنهمر شلالاتها أمامك تراها منعكسة آلاف الانعكاسات في مراياك المكسورة •• تجاهد فى

اللحاق بها فتمرق صاروخية دون أن تمنحك متعة التعلق بأهداب عرباتها الأخيرة
سنلتقي كثيرا ستجمعنا المفاجآت والصدف ووحدة المشارب وسأجدك ملكا تقف على ذروة ساعات يومي المملة شامخا تتلو في وسط بيانات انتصارك بيانات هزيمتي في شغل أوقاتي بغيرك والانغماس فى لجة عملي ومطبخي والرجال الذين يجوبون مرافئ عمري ليل نهار يتمسحون في حبات رملي ويتمرغون في ذرات عرقي فأنفض عن جسدي بصماتهم وثرثراتهم وأزيح ذرات غبارهم وردي أرواحهم المهترئة لأقف على ميناء تعرفه ٠٠أحسب على مزولة عمري الآتي كم بقى على موعدنا معا

فهرس

الفصل الثالث

في كل جزء من العالم يوجد هو ٠٠توجد هى لكنهما نادرا ما يلتقيان

أجمل مافينـــــا

دائما بيننا كلمة لم تقال ..
وفعل لم يصل بعد لأوج اكتماله..
وأبـراج مـشتعلة مـن رغبـات لـم تفـصح بعد عن نفسها
عندما نتحادث تتـصاعد صلـصلة سـيوف أفكارنـــا وقرقعـــة اصـــطدام رأســـينا ..يظلان بجيـوش أفكارهمـا متحـاجزين متنـــــاطحين متـــــصالبين يرفـــــضان التماهى. وبيننا جدول ..أنغام رقرقته الهادئـة تـشي بهدنـة قادمـة ..ترقـد علـى ضـفافه صفـصافة وادعـة وارفـة ..وتلوح من بعيد راية بيضاء قد يقـدمها

أحـدنا قربانـا للآخـر حقنـا لـدم خـسارة
محتملـة ومتوقعـة تـدخرها أيـام بيننـا لا
نعلمها ٠ وعندما أدخل في طيات ثيابي
أغوص في طبقاتها المتتالية تباعا تظل
عينــاك تخترقــان حــواجزي الــصخرية
٠٠تتغلغلان لأعماقي الغائصة في تـأب
نافر وهى تنحسر بعيدا نازحة إلى في
جزر دائم أعثر على نظراتك تمـسد فـي
دهـــــشة محـــــارة تنـــــضو عنهـــــا
الرمـال٠٠تتعامـل برهافـة مـع زوياهـا
الحادة والمنفرجة مع تطـرف انحناءاتهـا
المتمردة وأطرافها الناعمـة والمـسنونة
دون أن تدمى أناملك المدربة مع شذوذ
تضاريــسها٠ أتــرك للآخــرين مهمــة
التنقيـب والبحـث ٠٠لهـم ألـوان طيفـي
المبهرجـــة وطواويـــسي المنتفـــشة
الـريش ليتوهـوا فـي بوهيميـة الألـوان
وزحام الملامح٠
قد أمـنحهم عينـا أو أنفـا أو فمـا أو نهـدا
٠٠يغرقون فيه لنواصيهم
تـدخل ٠٠أدركـك دون النظـر٠٠خطواتـك
الواثقــة ٠٠قامتــك الفارعــة ٠٠دســمة

الأجزاء ••ألـم بهـا تباعـا دون أن تـسقط منى التفاصيل •
العين الضحوك بندقية الحدقـة ••رائقـة البياض دوما حتى مع الإرهـاق ••الفـم مكتنــز الــشفتين••••دقيــق الأدمــة ••نضد الأسنان••يحتضن دومـا بـسمة ••أتحايل لاقتناصها مـن شــتى زواياهـا ••مـع كـل نظـرة يـومض فـلاش داخـل رأسـي يلتقط لمحة يحتفظ بها للـذكرى ••يقتات بها لأيام عجاف قادمة•
هاأنــت تطـرق البـاب ••بطـرف عينـك ترمقنــي ••واقفــا مازلــت ••مازلــت جالـسة أوليـك ظهـري ••لكنـى أدركـك بالبصيرة ••مازال بيننا فعل متجمـد •• حروف خام لم نجد صياغتها فى قوالـب الكلمات•
هل تعلـم أنـى علمـت •• وهـل تعـرف مــن أيــن علمــت ؟••مــن خطواتــك المترددة الخذلى ••وأنفاسك المتهدجة اللهثى •
لاتحمل هما ياحبيبى فالخط المـستقيم دائما أقصر الطـرق ••هـل أبـدا أنـا ••لا

أريـد أن أجـشمك عنـاء المواجهـة فإننـا نـــستطيع أن نبـــوح بـــالنظر ••دون أن ألتفــت إليــك أرى خــدودك المتــضرجة بالـــدم••والكلمـــات المتدافعـــة إلـــى شــفتيك دون أن تجــرؤ علــى أن تنــبس منها بكلمة واحدة•
أرجوك لاتبح•••لا تتكلم•

فهرس

بورتريهات

(١)

أيها الرومانسيون البؤساء

على محطات القطار الذاهب رافقني صديقي بابا نويل .. يملك طيبته .. شعره الأبيض ، هيكل جسده .. تتدفق حكاياته الملونة .. أتقافز حوله كطفلة تخطف من جعبته الحكايات تفض أغلفتها الملونة .. تعيش مع الحكايات و يجري بنا القطار يطوي بنا المحيطات يحكي لي حكاية الذي باع ملابسه ليشتري كتباً و الآخر الذي يتفطر قلبه و هو يبيع الكتب على رصيف "النبي دانيال" ليشتري ملابساً. و ذاك الذي تمزقت أضلاعه بين رومانسيته المخملية فصار يداريها كعورة و واقعيته المؤلمة فسقط في براثن شيزوفرينيا عصرية تركل طيب المنبت و تؤدي تعظيم السلام لأخلاق الذئاب.

و ذاك الذي يفطر قصصاً و يتغذى أشعاراً و ينام على موسيقى الأفلام .. يصادق سماعة التليفون .. يعيش في الخيال مع بطلات قصصه الورقية يصنعهن .. يدبجهن .. يقصقصهن . يذروهن .. في الهواء و يذرو معهن عمره و أيامه ثم يجمع قصاصاتهن .. يصفف شعورهن .. يقلبهن .. يسبهن .. يحتضن سراباتهن و يبكي.

و عن أفروديت التي أضرمت العشق في القلوب فانسالت أنهار عشقها لكل الناس فمنحت بلا حدود .. يطمع فيها الطامعون .. تصير لهن بقرة حلوب يقولون لها لتمنحينا الحب بعملتنا الذهبية و نمنحك الحب بعملتك الوهمية و لما عشقت تشظت فتناثرت أجزاؤها و على كل جبل حطت و لملمت أجزاء قلبها و في مناديل مطرزة نقشتها ورقا يقرؤونه و لا يعلمون أنهم أجزاء من قلبها يتصفحون .. يناقشون و يتحدثون و ورقها ينبض في أيديهم .. يصرخ .. يبكي .. تسيل دماؤه على أصابعهم.

و ذو الحياة المشطورة نصفين .. نصفاً يمنحه لحبه .. لامرأة عمره التي احتل قلبها فاحتلت خلاياه .. هوت

قلاعها عندما سدد إليها سهام النظر .. هذه النظرة التي تقول لها سأمتلكك لو انطبقت الأرض على السماء .. يخطفها من موات زوج و أطفال ليمنحها حياة .. ينزعها من فم مجتمع لا يعترف إلا بامرأة تتزوج مرة واحدة و يدين امرأة اقترفت تهمة زواجين في حياة واحدة فيعيشان معاً سيمفونية عشق يعزفانها حتى الموت.

و هو صاحب الجعبة التي لا تفرغ من الحكايات تحولت جدران منزله لأرفف حبلى بآلاف الكتب .. كتباً تساوي الآلاف .. كان يمكن أن يشتري بها قمصاناً و أحذية و ذهباً لامرأته " وفيزونا" من حيوان غلب أمره .. قتل ليعيش فروه على جيدها.. هو الذي يفرح بكتاب أو قصة جميلة فرحة طفل بلعبة صارت حكاياته أمواجاً .. تفيض مدا أو تنسحب جزراً .. في كل قصة خيط من نسيج عمري و أيامي .. يجمع بينهم أعمال بسيطة و مظاهر بسيطة .. يقتاتون بالقليل ليشبع كل منهم مخدره اللعين ليصبح في المساء دودة قز دؤوبة تلتهم آلاف الكتب التي تجعلهم يعيشون فوق الواقع .. لا يلمسونه.

مع هزة القطار العائد جلست هي بجانبي .. أزعجني بروفيلها .. تحيتها المقتضبة .. نظرتها المحددة .. للحظة افتقدت ملامحه الحنون الملساء التي تستطيع أن تمر عليها بيديك دون أن تصطدم يداك بجرف هار أو قمة مدببة .. أما هي فبرغم مخالبي شعرت أني بجانبها مستأنسة .. راعتني تجاعيدها الحادة كأسنان شفرة . شفتاها الرفيعتان كخطين منطبقين .. ينفرجان عن صوت وحشي آمر حتى في خضوعه .. جعلت تخضخض ذاتي .. في دقائق .. استلت دواخلي .. و بسلاسة سبرت أغواري و استدرجتني بحكاياتها الملغومة .. المفخخة .. تلقى لي بطعم حكاية لأسرد بفطرة الحكي عشرا .. و كلما روت أيقنت أن عالمي الهش يتقوض كخيمة .. سقطت أعمدتها فهوت على الأرض .. و مع كل كلمة من كلماتها ريشة من أجنحتي تسقط .. أي امرأة هي ..؟ تمسك زوجها بيد من حديد و تدير مملكتها بحد السيف و تدافع عن عشها بضراوة لبؤة .. حتى زوجها تسخّر رجولته .. تستنزفه حسياً .. معنوياً .. تعرف كيف تجلده بنقاط ضعفه و تطلق الكلمة

فتصيب مقتلاً .. ترضع أبناءها فنون الكر و الفر و إصابة الهدف ببراعة محامية لم تخلع روب المرافعة حتى بين جدران بيتها.
أي امرأة أنا ..؟ مهزومة أنا .. أتشبث بجدران رومانسيتي الواهية .. أرفض أن أكون مثل هذه الآلة الحاسبة التي أحملها في حقيبتي .. امرأة هي بكل خبثها و كيدها .. حتى ضعفها موقوت منظم.
و لما سألتها و الحب ..؟ أرسلت ضحكة ساخرة ممرورة .. مشفقة .. مسداة لامرأة من أهل الكهف .. هبطت فجأة على هذا العالم شديد الخصوصية .. عالم الأصدقاء و الأحباء و قصص الهوى .. الكتب و الأشعار و الموسيقا و لحظات الدفء .. عالم مثالي ساذج لا شيء فيه قاطع .. حاسم .. عالم هلامي .. ليس عالمي محدداً هكذا كعالمها .. ليس شديد المحدودية إنه مطلق كمشاعري .. كخصلات شعري .. قصصي .. شيء يملكه كل العالم و يمتلك كل العالم .. قالت اسمحي لي يا هانم .. " أنت غلبانة أوي " كانت ضحكتي مجلجلة هذه المرة .. نظرت لها .. هذا الوجه المشدود ذو التعبير

القتالي .. هل تستحق الحياة كل ذلك .. ؟ هل هي سعيدة ..؟ هل يمكن أن يلتقي عالمانا ..؟

عالمي هو عالم ذو الشعر الأبيض و عالم من باع ملابسه ليشتري كتباً .. عالم الذين يملكون دهشة الأطفال .. و مغامرة المكتشفين في خوض أرض بكر لم يطأها بشر .. عالم الذين لا يعيشون.

نزلت من القطار أسترجع ملامحه الوادعة التي رافقتني طول مرحلة الذهاب أشتاق لكلمة منه تمحو أدران الغبار الذي لحق بي في رحلة السفر.

بورتريهات

(٢)

طلت على صورته من الألبوم .. هتفت .. ياه ..!!
" أين أنت الآن و كيف لم أحتفظ لك إلا بهذه الصورة اليتيمة ؟ .. تهتز أمامي الصورة في مويجات متدافعة .. متتابعة لتسحبني معها لأتيلييه كلية الفنون الجميلة .. أجلس في انتباه أنظر إليه.
دائماً ما كان يجعل من محاضرة الرسم شيئاً خاصا .. لأول وهلة يجعلنا في قمة الانبهار ثم في قمة الدهشة ثم في قمة الحيرة . دائماً كان يقول " الحيرة هي المداخل الشرعية للإبداع " ثم ما نلبث أن نجد أنفسنا قد التففنا حوله في دائرة ضيقة .. تظل تتسع و تتسع حتى تشمل جميع طلبة المرسم حتى من كانت آراؤه تستفزهم .. أتأمله و هو يدخن سيجارته .. يصنع لها مطفأة من الورق المقوي يدبج أطرافها بأناملة كأنه يصنع إناء خزفياً ثم يطلق من منخريه الدخان .. يحدق فيه كأنه يرى فيه لوحات لا نراها .. أتأمل تفاحة آدم البارزة من عنقه تتحرك مع أدني حركة من فمه رغم

قميصه الذي يتعمد غلقه حتى زره الأخير .. قميص واحد أبيض للصيف .. و آخر من المربعات الملونة للشتاء عرفت فيما بعد أنهم أثناء عشر بيض و عشرة قمصان ملونة متشابهة .. يلعب بالألوان أمامنا يعيد اكتشافها من جديد طفل هو فنان خالص .. خارق في جنونه .. خارق في إبداعه .. يمكنك أن تراوغه فيعطيك ألغازاً . بعضها غير مفهوم .. نستمتع بفك طلاسمها معه .. لا يستنكف أن يعطيك بعض مفاتيحها .. طرف خيط نشده و نلعب و يشد هو من الاتجاه الآخر .. لعبة جميلة مسلية نبدأها معه و لا نعرف نهايتها .. رحلة لعالمه . هذه المدينة من الأسرار نبدأها لهوا و تنتهي بالتحليق في فضاء رغباتنا المكبوتة فننتشي و نشعر بالسعادة لأننا نرى فيه تحقيقاً لها.

يتشعب بنا الحديث .. تتلاشى بيننا المسافات .. ننسى أنه أستاذ و نحن طلبته و حينئذ تنفض الحلقة من حوله شيئاً فشيئاً و نتبقى نحن خاصته فيصب الحديث أخيراً في مصبه المعتاد و المفضل لديه و هو الحديث عن أهمية اختيار شريكة الحياة للفنان و الإشادة بشريكة حياته التي تعرف كيف تقدر لحظات تحليقه و إبداعه و كيف تخاطبه بنصفيه العاقل و المجنون ثم يصل الحديث لذروته عندما يتحدث عن طفله أيمن الذي بلغ العاشرة من عمره .. و كنا نتعجب من ابنه هذا الذي أنجبه في هذه السن المتأخرة فقد سألناه عن سنه

الحقيقي فابتسم ابتسامة واسعة و طلب منا أن نخمن .. يصعب التخمين مع ملامح الوجه المطاطة مثل وجهه .. يصعب تحديد جغرافية ملامحه شرقية أم غربية .. أسيوية أم أفريقية .. أتخيله أعرابياً يمتطي ناقة أو خيالاً في أحد أفلام رعاة البقر.

تسعة و ثلاثون .. أربعون .. واحد و أربعون .. اتسعت الابتسامة و قال : تسعة و أربعون. أخذ يكمل نوادره عن ابنه أيمن الذي يحمل نفس التطابق مع أبيه في الميول و النزعة المجنونة. روى أن مدرس الرسم في مدرسة ولده طلب موضوعاً للرسم فاستهواه هو شخصياً الموضوع و قرر أن يرسمه بنفسه و قدمه الإبن دون أن يذكر عنه شيئاً لمدرسه.

و ما أن رآه المدرس حتى نظر للعمل بامتعاض و قال عنه إنه لا يمت للفن بصلة و إنه لابد و أن يرسب هذا العام في الرسم.

و عاد أيمن إلى أبيه مولولاً شاكياً فجن جنونه و قرر أن يذهب للمدرس بنفسه و يفهمه الأمر على حقيقته و تطور النقاش بينهما فما كان من المدرس إلا أن سأله عن وظيفته فقال له:

وظيفتي إني أبوه .. ثم بعد ذلك أنا مدرس في كلية الفنون الجميلة.

و ضحكنا جميعاً لكنه لم يشاركنا الضحك على غير عادته كانت تحديقته فينا غامضة و هو يقلب في

وجوهنا جميعاً النظر .. حمل علبة سجائره و انتحى ركناً و تركنا غارقين في بحر متلاطم من الحيرة .. أخذت أتأمل بروفيل وجهه .. كان يشد أنفاس السيجارة في صعوبة وقد تقلصت عضلات وجهه ثم يزفز في ألم كأنه يطلق آهة .. تذكرت أن كثيراً منا قد قام بزيارته في منزله و مرسمه و لم نر أيمن .. انتبهت فجأة ليده حينئذ تذكرت أني أيضاً لم ألمح فيها أبداً دبلة الزواج.

بورتريهات

(٣)

إن تغضب سيدي أو لا تغضب فعل لم أعد شديدة الاهتمام برد فعله .. إن تغضب فلك أسبابك .. و لكني أستميحك عذراً فأنا أيضاً أملك حق الغضب .. اغضب كما تشاء .. ارسم تخيل أنك تملك محطة أرصادي .. تطلق مناطيدك المستطلعة تتنبأ بها أجوائي .. فالحب عندك حركة ذهنية "تكتيك" لكن مهما فعلت فإنك دوماً تنسى أني امرأة ذات أحوال جوية متقلبة أملك حواس الدواب ذوات القوائم الأربع الملتصقة بالأرض و حدسها بقرب الزلازل .. فلي موهبة الولوج للدواخل و القفز للزوايا المهجورة في العقول .. براح أرضك لا يغري خيولي باقتحامها .. صحاريك جرداء لا تغري بالاكتشاف و التنقيب.

نتحدث أنا و الآخر عنك .. ننتف ريشك نمتص عصارة صباراتك نزيد بها عطش أيامنا فهو مأجور لديك بحكم وظيفته و أنا بحكم زواجنا .. يحدثني عن صفاتك المريرة التي تمتصها بالوعة طموحاتك .. تزداد بها انفصاماً عن واقعك .. تحكم بها ربطات عنقك الحريائية الألوان و التي لا أعرف حتى الآن كيف تطيقها ٢٤ ساعة في النهار حتى أصبحت ديدنك .. أصبحت بحكم العادة تتحسس رقبتك حتى في الأوقات التي لا ترتدي بها ربطة عنق.

أتظنني أسخر منك ؟ مهما سخرت فلن أملك مثل قدرتك الفائقة على الهمز و اللمز و التهكم و وضع البشر في قوالب

كاريكاتورية في مسرحية النجم الأوحد و عازف السوليست و صانع الألعاب الذي كل ماعداه خشب مسندة و موسيقا تصويرية و أطر سوداء أنيقة يظهر تباينها عبقريته.
قالت صديقة: من حسن حظ زوجك أن كل من يتعثر في طريقه يلتقط الطعم .. يسقط في حبائل كاريزما شخصيته و يظل منوماً مغناطيسياً إلى أن "تلطعه" الحقائق على قفاه .. من يصدق أن سيماء النبل هذه و هذا الجبين الأشم و الذكاء المتقد الذي يشع من عينيه و كلماته المنمقة حبلاً لأنشوطة.
قال صديقه : أصبحت أخاف على نفسي منه لا أصدق أن هذا الذي لعبت معه الكرة الشراب في الشارع .. و لعبنا معاً السيجا على السطوح و لهوت معه بالصلصال صنعنا منه عسكراً و حرامية هو من أراه الآن أمامي .. لم أعرفه إلا من خلالك .. سلطت عليه كشافاتك .. و استعرت عينيك و لما نظرت له فجعت .. أدركت كم كنت مغفلاً أعطيت دون مقابل.
قال أبي : مركبة و لا شك شخصيته إن أردت أن تستريحي تعاملي برفق مع جميع شخصياته .. أنت لماحة .. إن مثل دوراً اقتنعي وصفقي له .. إن كذب تظاهري بالتصديق .. إن بكى ضميه إلى صدرك .. اجعليه يتصالح مع فصامه.
قلت لأمي : إن ما يطلبه أبي صعب قد نستطيع أن نفعل هذا مع رفقة السفر أو صحبة المجلس لا مع الأنداد و الأزواج .. قالت هذا هو الزواج يا ابنتي فن الرقص على الحبال.
قالت شقيقته : ميزته أنه شخصية قيادية .. ما ذنب من معه إن كانت شخصياتهم ضعيفة..؟
قلت : عيبه أنه يقفز على أحجار نقاط ضعفهم يتسلقهم فيمتطيهم و يدلى قدميه من فوق رقابهم.

قالت في شماتة : تقصدين أنه نهاز للفرص فليكن .. إنها أيضاً شطارة.

قلت في غيظ الآن عرفت لماذا صنع أخوك تمثالا لعبد الناصر و عبده إلى جانب اللات و العزى و مناة.
قال صديق عمره : يا عزيزتي لا تتعجبي إنك أكثر التناقضات في حياته أنت باستمرار تشعلين فيه التحدي أنتما من طبقتين متباينتين أنت بورجوازية و هو بروليتاريا مجانية التعليم جعلتكما في مدرج واحد .. في كلية واحدة .. طيلة حياته و طبقتك حلمه .. و عقده .. و أنت طبقتك عقدتك .. كلاكما تمرد على قالبه .. أنت بحكم بيئتك كلاسيكية تمردت فأصبحت فوضوية .. و هو بحكم بيئته فوضوي تمرد و لبس مسوح الكلاسيكية .. إنكما تلتقيان فقط في المنطقة التي تقع في المنتصف .. حتى طريقة زواجكما فهي أكثر إثارة فهو لكي يعجبك رسم لنفسه بورتريه ليس حقيقته .. داعب جذورك الكلاسيكية .. فأعجبك لأنك وجدت فيه صورة من أبيك و قلت له "عاوزاه يا بابا" .. زواجكما حل المشكلة جزئياً و ليس جذرياً .. و بقيت بذورها في ذاتيكما .. كلاكما أصبح ينتمي للآخر بحكم الرباط المقدس و الأطفال .. دون أن ينتمي إليه فعلياً .. أنت دون قصد تدوسين على "دمامله" ليس أمامه سوى أن ينتقص منك ليرتقى .. يسخر منك ليعلو .. يقصقص أجنحتك لتسقطي و يرتفع .. يقلل من إمكانياتك حتى لا تغتري .. لكنك للأسف طاووسية الشخصية .. صخرية الطباع .. تظل أمواجه تلطمك دون أن تتغيري و يظل هو آملاً أن تتغيري بفعل عوامل التعرية .. و تظلين أنت كما أنت بحكم صلادة المعدن الأصيل .

في جلسة أجتمع فيها نفر من الصديقات سألت إحداهن عن هوايات الأزواج.
قالت واحدة : زوجي هوايته لعب الشطرنج مع خصوم وهميين على الإنترنت .
قالت أخرى : زوجي هوايته تدخين الشيشة و لعب الدومينو.
و قالت أخرى : يلعب الكرة مع الأصدقاء في النادي
قلن و أنت .. ؟
قلت : هوايته عمله.
قالت كيف يقضي زوجك يوم أجازته ..؟
قالت إحداهن : يصحبني و الأطفال لنزهة لخارج المنزل.
قالت أخرى ضاحكة بميوعة : بعد أن ينام الأطفال يحضر فيلماً من "إياهم" ثم يقيم بعده وليمة لإفتراسي.
و أخرى قالت : زوجي مختلف تماماً إنه يقضي يومه في المطبخ يفنن لنا أي طبخة.
قلن و أنت : قلت زوجي يقسم وقته بالعدل و القسطاس بين النوم و التليفزيون و التليفون والمتبقي للكمبيوتر والموبيل شهقن و سألنني و أنت ماذا تفعلين إذن ..؟
قلت : أخونه مع كل أصدقائه .. ذهنياً.
و الآن سيدي .. قل لي هل ستغضب .. ؟ لكني بالقطع و كما قلت لك في البداية لم يعد يهمني.

فهرس

كراســـي موسيـقية

(١)

أحيانـاً لا أكـون رماديـة .. أكـون بهيـة مـشرقة كـشمس صـيفية أو سـوداوية كـسماء ليـل حالـك .. يقولـون مجنونـة .. أحياناً أكون أميرة الغابة يحيطني الأقزام السبعة .. يفتحون لي باب عربتي الذهبية بخيولها المسومة .. ينطلق بي الحوذي .. أطير يفتح لي أميري باب العربة .. ينحني في استقبالي .. أنطلق معه لبلاد العجائب التي تتحول فيها الرمال إلى ذهب .. و زمرد و ماس .. و تتشيأ المخلوقات أو تتحول لكائنات أخرى سحرية .. أختار ثوب عروس البحر الفضي لأعيش معلقة بين البحر و الأفق .. معذبة أنا بحب فتى أحلامي ذي الأقدام الراسخة على الأرض لا يملك أجنحة يطير بها في الفضاء أو ذيلا يسبح به في الماء .. لنذهب معاً لأبي ملك قيعان البحار ..

يهديني تاجاً من ريش الطواويس الملونة أرقص به على سطح البحيرة رقصة البجعة الأخيرة .. في الفصل الأخير من القصة الأخيرة.
عيناك تنقلاني بسرعة دائماً للمحطة الأخيرة .. تأخرت كثيراً .. و عندما قدمت كان حبك عدلا متأخراً : أي ظلمٌ فادح .. لا أجرؤ على دفعه عن نفسي كأي قتيل لا يملك حق الدفاع عن نفسه تملك ثلاثة مفاتيح لأنثى رمادية أو مشرقة أو سوداء .. كلمات ترسو بي عند أي محطة فيها تطوي عمري الماضي أو تنسف بقية الآتي .. تطلق سراح أفراحي .. تفك عناقيدها المعقدة من أسرها.
أنت فقط تملك ثلاثة مفاتيح لامرأة و شابة مراهقة .. امرأة عمرك أنا .. من أجلك فقط أضبط كل محطات استقبالي .. أوجهها إليك .. كل رادارات عقلي تنطلق من قاعدة عينيك فأكون يوماً بساطاً يحملك و ينطلق بك لمملكة الشاطر حسن أو جنياً محبوساً في قمقم علاء الدين ينتظر إشارتك أو أصبح بخوراً تطلقني فأذر رماداً في أعين كل الناس سواك .. من زرعك في صحراء قلبي ..؟ من توجك ملكاً عل عرش مملكة الصابئين ..؟ لغم حبك الموقوت لا أعلم متى سينفجر كل ما أعلمه أني مازلت أجلس على فوهة بركان .. تغلي الأرض من تحته.
لماذا قررت أن تصدم سيارتك بسيارتي لتضرم حجرين ببعضهما .. فينطلق الشرر .
كيف وقفت أمامي كفارس شريف تتحمل طلقاتي .. ؟ أي عجرفة صبيانية تمتلكني و أنا أنسب إليك كل نعوت التهور و انعدام المسئولية و الاستهانة بأرواح الناس أي رقي كان و أي أدب باتر و غطرسة أرستقراطية – غير متعمدة – رددت بها علي لاعن قلة حيلة .. بل عن إحساس واثق بالاعتزاز و الكرامة ..

كانت كلماتك سكينا تقشر بها طبقات قلبي .. طبقة طبقة و ترشق في كل طبقة سهماً من سهامك و التقينا بحكم اصطدامنا القدري .. نسينا حديث الصاج و الحديد لنتحدث حديث الدماء و الأرواح لكن تتوقف معزوفتك عند النغم النشاز .. تصرخ .. متزوجة ..؟

قلبي أعقاب سجائر تدهسها كلماتك .. أسمعها كأني أسمعها لأول مرة كأني كنت قد نسيتها .. حكم إعدامي ينطلق من عينيك .. اتهاماً .. إدانة .. تشهر سيوف نظراتك في وجهي و من بعدها تختفي أياماً .. شهوراً أبحث عن أرض أمشي عليها .. عن سماء أحدق فيها .. بارقة ضوء تشع .. لتضيء كرتي الأرضية التي انحسرت عنها الشمس فبت أعيش في ليل دائم .. جسدي ممزق بين المدارات الثلاث .. تتركني وحدي أجتر أيامي .. أنت و هو .. كما لو كانت روحه مصبوبة في روحك .. هل هو تناسخ أرواح .. أي انقلاب أحدثه هو في حياتي عندما ظهر لا يضارعه انقلاب آخر إلا ظهورك أنت ..

ها هو التاريخ يقلب صفحاته القديمة من جديد .. تمتد الخيوط بينكما أنت و هو .. أتذكر نفسي و أنا أطلق نفس الصيحة .. متزوج ..؟!!

لكني صمدت .. لم أملك مثل قدرتك على الهروب .. كنت له .. كانت الخفافيش تصنع لنا فخاً .. كانت زوجته تحيك لنا ثوباً من خيوط العناكب و أشواك القنافذ و قرون الوعول البرية و إبر النحل المسمومة .. أخذت تضيقه حولنا حتى قتلنا. و أصبح حبنا عاراً يطاردنا كصور المشبوهين على الجدران .. كهتافات المارقين في وجه السلطة .. تسقط .. تسقط .. تسقط " و سقطت لكني عندما نهضت كنت بلا قلب .. كنت الفتاة ذات الألف وجه .. و عندما قابلته من أصبح زوجي فيما بعد استشففته .. نسجت له وجهاً .. أعرف انه سيعجبه .. صنعت له قالبا صببت

فيه كل ما يعجب الرجال في المرأة .. صنعت لـه خيطاً أشده بـه إلـى .. لـم أدرك أنـه سيصبح يومـاً حبلا يلتف حول عنقي .. لـم أدرك أنـه كـان كـذلك إلا عنـدما قابلتـك .. و كانـت مقابلتـك إنـذار بانقلاب آخر لكنه الأخير .. لزوجة جعلت أطفالها رواسي عالمها المهزوز.
و ها أنت تهرب بعد أن أنشبت أظـافر حبك فـي قلبي لكنـي أوقن أني سأجدك لأنـي هذه المرة أتقنـت أصول اللعبـة .. لـن أكـون " أناكارنينا" (١) أخري أبداً فقط دعني أعيش معك ألـوان الطيـف الـسبعة و دعنـا نـرقص معـا فـي البحيـرة الرقـصة الأخيـرة فـي الفصل الأخير من القصة الأخيرة.

---

(١) أناكارنينـا : بطلـة إحـدى قـصص تولـستوي المـشهورة التي عربت باسم الفيلم العربي (نـهر الحب)

كراسي
موسيقية (٢)

مروع أنا .. و سنان بين النوم و اليقظة .. أسمع طرقات على الباب .. مجرد هاجس .. ليس بموعد للزيارة .. دلفت حفيف ثوبها الطويل الأسود يؤكد لي أنها طرقات حقيقية .. متى طرقت الباب ؟ أحقاً فتحت لها .. ؟ ثمل أنا بسكرة المفاجأة .. مارد وجودها يكسر القمقم فاقئا عيني تهويماتي .. هل هي نفس المرأة .. ؟ ماذا أتى بها في غبشة الصبح .. تقتحم صومعتي فتصبح في لحظة جزءاً من اللوحة لا نشاز فيها .. تلتحم بالمكان و الزمان .. بوجودي .. تتقلص نظراتي

علـى وجههـا الإفريقـي المـصبوب المنقـوع فـي طمـي النوبـة .. لوحـة حيـة من لوحـات (محمـود سـعيد) كنـت أجد فيها سلوى تذكرني بصديقي الغائب .. أخمش مرآة الذاكرة مرة أخرى .. أزيـح عنهـا هذا البخـار الكثيـف .. أفيق شيئاً فشيئا .. تهاجمني صورته بضراوة.

نعم .. كان صديقي .. هكذا كنت أدعوه .. لو سمعت أمي أسمه لقالت " اتفووه " لم يهمني إن كان يقطن في فيلا بـأرقي حـي أو يعيش فـي عشة دجـاج .. حـصيرة بيتـه كانت فرشي و سقف بيته - الذي لم يكن له أبداً سقف – كـان غطـائي .. زمـلاء نحـن فـي النـضال و المبـادئ .. تقاطيعــه الحــادة المــسنونة المنحوتــة بأزميــل شــديد المراس في القلب .. وجهه الأسمر عند حديث الثورة و هو يصيح هائجاً يهاجم من دفعوا بنـا لغياهب النكسة و من ألقوا بنا لجحيم الخذلان فبتنا نمشي كرايات منكسة.

كم أنساب على يدي دمعه المصهور حزناً على الحرية و المـصير .. لـم أمـل مـن ملاحقتـه مـن معتقـل لمعتقـل يوصيني خيراً بزوجته و بناته .. لم أكن أحتـاج لوصيته

.. فقد توحدت بهم .. كنت أقتسم معهم الجنيه و رغيف الخبز .. و البكاء و الضحكات و ذكريات الغائب الغالي.
كنت أراقب تقاطيعه الحادة و هي تلين يوماً بعد يوم .. عاماً بعد عام .. مع كل عظمة تنسحق من عظام وجهه .. كان يفقد قطعة من روحه .. و يوم خروجه من المعتقل كان قد عقد اتفاقية صلح مع كل ما تسبب في دخوله إليه .. نفوه إلى أقصى الصعيد إلى منفذ من منافذ الجمارك .. يستطيع منه أن يثري و ينتقم و يركل بقدميه كل ما تسبب في ضياع عمره.
طائعاً طرت إليه أطوي مسافات و أتحدى جغرافية المكان .. حنين جارف يقتلعني من جذوري لأذهب إليه و لو لآخر الدنيا.
في أول لقاء بيننا أنكرته .. أخذت أبحث في سراديب عقله عن مكان لي .. عن صورتي المحفورة في صخور قلبه كما صورته المحفورة في أركان قلبي .. صحراء جموده ألجمت خيول خيالي .. أقنعت نفسي أن سنوات الاعتقال حتما قد غيرته.

لـم يتحـدث سـوى عـن المـادة عـرض علـى بـشموخ أن يعوضني عن السنوات التي أقمت بها أود بيته .. سطوة المفاجـأة زلزلـت قـدمي .. أخـذت أتهتـه كـأي معتـوه .. خرجـت مـن عنـده تـشيعني زوجتـه علـى سـلم شـقته الواسعة ذات السقف العالي و هي تصرخ بأعلى صوتها مـشهدة نـسوة الجيـران علـى صـديق زوجهـا " النـذل" الجبـان الـذي طالمـا تحـرش بهـا و راودهـا عـن نفـسها مـستغلاً غيـاب زوجهـا البطل الـشريف فـي المعتقل و لـم يكفه ذلك بل جاء ليقتفي أثره في أقاصي الأرض.

قتيل أنا .. تتساقط دمائي على السلم .. مشلول الإدراك .. ركـائز وجودي تهوي .. أعمـدة كيـاني كلهـا تنهـار .. طغمــة تغـشي بـصري فأسـقط فـي ظـلام لا أدري كيـف أفقت و لا متى .. ترك لي بصمة لا تـزال آثارهـا فـي ثقل ساقي الذي بت أجرجره.

مروع أنا مازلت لا أصدق أنها نفس المرأة التـي طرقت بـابي .. أرقبهـا منحنيـة كفـرع شـجرة مكـسور. تـتقلص نظراتـي علـى وجههـا الـذي غـزا أوردتـي .. كـم ارتقيـت بعينـــي تقاطيعهـــا هبوطـــاً و صـــعوداً .. أروي أشـــجار

إصرارها و صمودها .. أشبهها دائماً بزوجة الزعيم الإفريقي التي انتظرته أعواماً حتى لفظه المعتقل لها عجوزاً فانياً. تنظر لي تنكسر نظراتها عند التقائها بعيني.

ترتدي سواداً من الرأس لأخمص الأقدام .. وجنتاها المشدودتان ليمونتان مصفوطتان تهدلتا و لانت حدتهما .. و تناثرت حول وجهها ذؤابات شعر أبيض واهن تسألني مراوغة حدة الصمت .. أما زلت وحدك ؟ ألم تتزوج بعد ..؟ تصفعها نظرتي .. تجيبني الدموع عن سؤال لم أسأله.

" جئت لأطلب صفحك حتى يستريح في قبره .. هو من طلب مني أن أجثو على قدميك حتى تسامحه .. كانت تمثيلية أكرهني على تمثيلها ليتخلص منك و من كل الماضي .. يعلم الله أنك بريء منها في كل لحظة كان يتذكرك و يبكي مثل " العيال" لم يكن يتفوه باسم غير اسمك .. أطمئن لقد أقتص الله لك منه .. كل ما جناه أنفقناه على جلسات علاجه حقاً إن ما تأتي به الرياح تأخذه الزوابع..... و.... "

وقفت أمامها منهياً الحوار .. كانت يدي تدس في يدها لفافة بيضاء .. كان وجهها ممتقعاً و هي تمد يدها و تأخذها و ما لبثت أن أجهشت ببكاء لم أجد له في قلبي الممرور صدي .. و لا حتى رغبة في الالتفات إليها .. لم أشعر قط بمثل ما شعرت به من الراحة إلا عندما سمعت صوت حفيف ثوبها الطويل يشي برحيلها.

رفعت عيني .. وقفت أتأمل كل مكان تعلقت به بصمات جسدها الذي طالما حلمت به و تمنيته محاولاً استعادة ذرات جسدها من الفضاء و هي تشغل فراغ المقعد .. كل مكان وطئته أقدامها .. لمسته بأناملها .. أمسح بيدي كل مكان سقطت عليه دموعها .. أنحني عليه كراهب على أيقونته المعبودة .. أضمه و أريق عليه قبلاتي تصطدم يدي بلفافة مكومة و ملقاة بإهمال ككفن أبيض على طرف المقعد.

فهرس

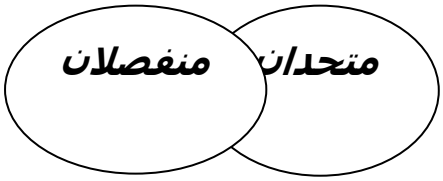

أدرك جيداً أنك جلست قبلي هنا .. و على نفس هذا المقعد .. تفاعلت ذرات الفراغ مع مفردات جسدك كما تتفاعل الآن مع كتلة جسدي .. لكن بشكل آخر .. قادمة أنا إليك أمامي عجلة صغيرة تحرك كتلة المعدن الكبيرة .. تسير بها للطريق الذي أنت فيه .
دوائر دوائر هى حياتنا معاً .. لكنها لا تلتقي .. لا تتقاطع إلا لحظة .. ثمة صوت بعيد يبثه جهاز صغير في حقيبتي يعلن عن وجودك في حياتي .. وراء دقاته أصابعك تكتب شفرة أرقامي فأكون معك على الهواء .. ينساب صوتك فاتراً .. " أين أنت ؟" " أنا في الطريق .. في دقائق سأكون معك "

عالمك الكمبيوتري الفسيح .. معقد زاخر .. يحمل لك الدنيا على جناحين .. بضع دقات .. تنقلك للبعيد .. تشيد .. تقيم .. تصنع مساقطاً رأسية .. أفقية .. خطوطاً .. طولية .. عرضية .. لوحات .. تصبح فيما بعد حقائق لها كيانات مادية ملموسة .. بأصابعك المدربة تخاطب كتلها المعمارية المصمتة .. تنفذ لمواطن دائها .. تنقر عليه كطبيب حاذق .. لا تفقد صبرك مع الأرقام و الكتل ..

ينفذ صبري و أنا أتابعك في مواقع عملك .. تقفز لولبياً ساحراً تمنيني بدقائق سوف نكون فيها معاً تأباها أرقام الساعة المخاتلة .. و أظل أنتظر حتى أمل . أعود لعالمي البدائي البسيط .. بطيء الإيقاع .. أحدث ما أدخلته فيه هذا "المحمول " " كي نكون دائماً على اتصال " كلمتك المشهورة .. أنتقي كتابا يتحدث عن العشق .. أسمع الموسيقا " حتى الموسيقا بناء هندسي " هكذا تقول " أكره الأرقام و الهندسة و كل ما يرهق ذهني و تفكيري .." " إنه حس منطقي يا عزيزتي " " إذن فأنا أفتقر لهذا الحس " .
لم أعد أستطيع مجاراة هرولتك وراء حمى الحلم المستحيل .. خطواتي غدت بطيئة .. لم أعد طليقة أقفز وراء شطحات طموحك النهم .. أصبحت أرسف في أغلال وريقة زواج و طفلين يبتزان حناني .. و فتات طاقتي لم أعد أستطيع أن أرتقي و أهبط مدارج مخلوقاتك الهندسية الصماء التي تجيد التحدث معها و إليها بلغتها الجامدة و لا مشاهدة صولاتك التي لا تنتهي معها .

في لحظات فراغي النادرة .. يثيرني هذا الجامد .. تحرك فضولي لوحات مفاتيحه التي تربض بجوارها ساعات دون أن يعتريك الملل .. تعلمني الولوج إلى عالمه الساحر .. ذاك الساحر .. أبحر معها ساعات ممتعة بلا كلل .. تلهيني عن التفكير في كتلك البكماء و خطوطك المستقيمة و العرجاء .. لا يهمني أن ترتفع أو تنخفض .. تعلو أو تهبط .. اهتمامات .. صداقات .. أوراق جديدة تقتحم مفكرتي و دوائر عقلي الموصدة دونك تصبح دوائر مفتوحة .. مرنة مستعدة لاستقبال دوائر أخرى و أخرى .. تتحاور معها و تناقشها .. و تخاطب مفردات عالمها الوديع الساكن .

يعاودني الحنين لعالمي الضيق الصغير .. فأعتزل .. يناوشني رقم غريب يهتك شفرة أرقامي يأتيني الصوت دافئاً .. " أين أنت ؟.. من أنتَ؟ .. ناصر .. ناصر من ؟ يذكرني بإحدى صداقاتي الآلية .. تنهمر تساؤلاتي .. تنهيها كلمته " لا يهم سوى أننا الآن معاً .. ؟ " ينساب حديثنا آسراً .. بلا أسوار .. يتسلل سحر الصوت لمسامي .. تنفذ أثير يته لخيالي فيرسم .. صورة لوجهه .. تأتيني كلماته العفوية الرائعة .. محملة بنبض الافتقاد .. "أين أنت ؟ " أصف له تلك البقعة من البحر التي أنست إليها .. و عشقتها منذ الطفولة .." سآتي إليك الآن " أدق أرقامه يوصد هاتفه دوني ليحرمني لذة التراجع .

في دقائق بجانبي يجلس .. أجمل بكثير من خيالي .. تتعانق اللهفة تطرق و تجوب بنا مدن المتع الساحرة .. و اللذة التي نقف على أعتابها دون أن نجرؤ على المروق .. نحمل جوازات سفرنا الوهمية نحلق كطائرين صغيرين يدركان أن السقوط وشيك .. نستعرض بيانات جوازات سفرنا .. يفاجئني صغر سنه رغم خصلاته الفضية الرائعة .. نتحدث كثيراً كثيراً .. بأناقة تغازل مفرداته متاريس قلبى الصدىء ثم يرين الصمت ..تهرب طيور الطمأنينة من أوكارها أطرق بوابات العشق .. أفتح أبواب نزار و جبران .. أسقط في دوامات الجسد .. فيحترق بدني .. كلهم يريدون امتصاص ثمرات الخلد للمنتهى .. آدم و خطأه الأزلي .. سيظل يلاحقني .. أبحث في الأفلاطونية المستحيلة عن الحب .. في سيمفونية الجسد تحترق كل المقدسات و تهوى بيادق العشق و يصبح للحظة السقوط طول و عرض و عمق .. تصبح سكيناً مسلطة و مقصلة مشرعة تذبحني .. يكويني صهد أنفاسه و بدنه المحموم بالعشق .. يدق في حقيبتي جرسه اللحوح الكريه .. يأتيني صوته صارخاً قلقاً .. " أين أنت ؟؟ "

فهرس

زياراته دائما ليلية يجثم بكتلة جسده التى يشغل بها حيزا كبيرا من الفراغ يسد مدخل الباب ، قمصانه السوداء المرقطة تجعله تنينا من الحجم الكبير ومع كثرة استخدام ذراعيه فى التلويح يبدو كطائر رخ خرافى مفرود الجناحين صوته ينبعث صهريجيا أجوفا يظل صداه ملتصقا بطبلة اذنى ٠

كان دخوله مشوبا بحذر النظرات ٠٠استكشافية تنتقل ٠٠ أسهم مصوبة نتراشق بها يتجول الأطفال حولنا ٠٠يلعبون٠٠ طلته ترهبهم ٠٠يتهيبون يطوفون فى كل مكان إلا المكان المتمركز فيه مجاله المغناطيسى ٠٠ خيوط النظرات تتجاذب بيننا لحظات ثم تنقطع٠

الحرج يصبغها ٠٠ تخرج متكلفة ٠٠ عمومية الحديث تخفى قلقا ليست هنا زوجته وزوجى كذلك لم جاء اذن ٠٠؟

عيناى تتعجلان إنهاء الحياد الإجبارى حصار عينيه يؤجج القلق أغراب نحن جمعتنا الغربة تحت إلحاح الظروف والسفر ٠٠ التساؤل مازال قائما هو يجيد الالتفاف فى المسارات الملتوية وطبعه المائى يجعله يتشكل حسب الإناء الذى يوضع فيه وطبعى النارى يجعلنى أهوى الإنفلات من المسارات المتعرجة ولاأطيق السير فى المتاهات وأجيد توجيه دفة الأمور لحافة المواجهة أيغرقنى بمائه أم أحرقه بنارى ؟ عينانا لاترجحان أى الكفتين ٠

عندما كانت هى بيننا كان الحديث ينساب ·· يتشعب ··حتى الدعابات المرحة كانت تتدفق بسلاسة بيننا ·· يبدى إعجابه من تحفظى من تمسكى بهذا الزى ·· من طرف خفى يشير إلى هذا الجسد الجميل الذى تخفيه العباءة السوداء ذات الأكمام الفضفاضة ·· أنتفض غيظا من غمزاته قذائفى تنهال عشوائية ما أفعله يكاد يكون اعتناقا وليس مجرد زى وهذا هو الفارق يتناقش فى جدوى هذا الزى فى هذا البلد الذى يفقد هويته معاشرته لهم جعلته يفقد مصريته أو يتناساها والدليل هذه الزيارات الليلية التى ترفضها كل الأعراف

يبدأ تدريجيا فى الالتفاف حول هدفه ·· إدراكى لهدفه يجعلنى أدعى مزيدا من الغباء لدفعه لمزيد من الانزلاق تستهوينى لعبة الاستغماية بالذات مع الشخصيات القابلة للاستهواء ذوى الأنوف الكلابية التى تقتنص رائحة أى انثى حتى لو كانت أنثى خنافس

يبحث من جديد عن مدخل يتسرب منه إلى أبادر بتحطيم جسوره ·· أفند حججه وأسدد منافذه ·· يتحدث كثيرا عن زوجى يعرف الكثير عنه من خلال زوجته صديقتى ·· يفاجئنى بمالم أتوقعه ··ينتابنى الغيظ والحرج من جرأته فى الولوج إلى عالمى

واستباحة مقدساته وعمل خرائط للتنبؤات ومحطات للأرصاد والتوقعات ·

يبدأ فى توجيه دفة الحوار للمفاتيح الذهبية التي لا تخطئها إي امرأة ·· استكين للحظات يرتخي الخيط المشدود بيننا ·· يبدأ

في الدق بمهارة ·· أخرج من اللعبة لأقف خارج الدائرة ·· أتفرج علينا سويا ·· أفسح لها مكاني هى أكثر مهارة منى في اللعب الآن فقط نحن على طرفي لعبة الاتزان أي خلل سوف يطرد أحدنا خارج اللعبة ·

يحمى أوار اللعب ·· يزداد خطورة·· مقامرة هى لاتهاب شيئا ولاأخشى عليها من شىء ·· تداعبه ·· تلاعبه ··تباعده تدانيه ··يتضرج وجهه بالاحمرار تمنحه وعدا ·· ينصرف متبلبلا ·· تتجه للهاتف تدير ارقاما ·· كيان شاب ممشوق ينتصب أمام بابها تفتح الباب بحذر ·· يتجه مباشرة لغرفة النوم

فهرس

هاهي تصحو في الصباحات الباكرة ..لتصنع وجه المهـــرج .. أمامها تتناثر أدوات التجميل وقوارير العطر .. الفرش المـلونة .. مئات من العلب المبرقشة مبعثرة هنا وهناك ..ألوان متعـــــددة للخدود ..وظلال قزحية للجفون .. وفي الدولاب شواهـد الملابس معلقة من رقابها مشجوبة .. سميكة مبطنة كأنهـــــا تحوى أجسادا أخر تحتها .. قطع متناثرة أخرى لتضبط بها ما اختل من النسب بعد كل تلك الاحتياطات .

(٢)

لاأدرى لم تحضرني الآن قصة الرجل المصاب بعقدة الإخصاء والذي يتعمد أن يظهر عورته لأي امرأة فان بوغتت وصرخت كان هذا تأكيد أن عضوه مازال موجودا .. أقوم بأشياء عديدة لتؤكد لي أنى مازلت أنتمي لعالم الأحياء .. أخضخض بها ذاتي .. أمزجها بوجودي المزيف لأخفى بها عن الناس رائحة جيفتي الكريهة .. أصنع لنفسي عالما لبناته من الوهم .. ولكن يبقى الأمر غير مؤكد .. يعطيني أصابعه فأداعبها برقة بمكر تنساب حروفا ..وترتد إلي حروف .. عجيب أمر هذا الجهاز ..ككلب تشد ذيله هنا فيصيح هناك ويشد الطرف الثاني ذيله فيصيح عندي .. يحكى لي أحلامه .. أفكاره .. أمانيه .. نقتسم همومنا .. نتبادل ولديه وزوجته مع ولدى وزوجى نتقاذف بالآراء .. نضحك .. نبكى.. فقط عليك أن تبوح

بكلمة السر ٠٠ فيفتح لك صندوق الدنيا ٠٠ تفتح لك نافذة على أعمار الآخرين وأقدارهم ٠٠ ارتد لك قناع المهرج أو أي قناع آخر تحبه ٠٠ لكن عندما ينقطع التيار الكهربائي سوف تختفي الملامح وتتبقى لك صورة مشوشة ٠٠ ويبدو الأمر كله سرابيا ٠٠ مازالت الشبكة العنكبوتية توقع المزيد في حبائلها ٠٠ مازالت منصوبة توقع المزيد من الضحايا بملء إرادتهم ٠٠ معصوبي العينين٠٠ وكلما زاد عدد الضحايا أصبحت الشبكة المتصابية اللعوب أكثر شراهة ونهما للمزيد ٠٠ أتخيلهم بساطا مفروشا تحت قدمي أدوسهم ٠٠ يذوبون ويتحللون يصيرون مدادا أغمس فيه قلمي وأكتب كما جعل بيكاسو نساءه عصيرا ينقع فيه فرشاته ويرسم ٠٠ مازالوا يتساقطون واحدا تلو الآخر ٠٠ وتتصاعد قهقهاتى٠

(٣)

تغلق الجهاز ٠٠ توشوش الهاتف ٠٠ هاهو آخر يمنحها مملكة مزيفة وعرشا وهميا ٠٠ طابور من العرسان لامرأة متزوجة ٠٠ حالة لا أعرف لها توصيفا ٠٠ أنا فوق السحاب ٠٠أنا تحت الأنقاض ٠٠أطير لكنى مزق ممزقة ٠٠ عندما قابلته كان حيا ٠٠ لحظات حنانه شحيحة ٠٠ قليلة ٠٠ تعطيني نعيم الدنيا وجحيمها ٠٠ لحظات امتلاك نادرة ٠٠ أحتضنه دائما لأؤكد لنفسي أنى مازلت أحيا ٠٠ الجثة تتعامل مع الآخرين تعابثهم٠٠ تداعبهم ٠٠ تدانيهم ٠٠تباعدهم ٠

قالوا لي : "ماكان قبل الأول؟"

قلت:" كانت بروفات ٠٠ مشروعات لعلاقات لم تكتمل خرائطها بعد ٠٠ ثم بعد الأول كانت تكفيرا عن فشلي مع الأول ٠٠ وبعد الزواج ٠٠ هل هذا يليق؟"

جيشان مشاعري شيء لم أعهده من قبل٠٠ سوف ألقى حتفي على يديه ٠٠ سوف يرقد القمر في بيت الشمس ثم يختنق ويموت٠
هذه هي النهاية ماكان أجمل البداية ٠٠ في البدء كان رقيقا ناعما ٠٠ دائما يكونون هكذا في البداية وماذا أملك أن افعل ؟ الحب بذرة إلهية لا يملك أحد أن يزرعها أو يشتريها قد تنمو في أي مكان في أي زمان ٠٠ مفاجأة لي أن يكون حبي لك هكذا أبلها ٠٠ لا يجيد لعبة الحبال العاطفية ولا ألعاب الحواة٠

(٤)

قادمة أنا إليك لم ألحظ أن السنين قد تقاربت وأن الأيام تدانت وتلاصقت كأن لم ينقض عام وينتفض من أنقاضه عام آخر ٠٠ هاهو يوم ذكراك ياأمى يلوح ٠٠ فتختلج أوردتي ٠٠ ويتدفق الماضي نازفا يهصر حناياى ويشطر فؤادي وكأن الأزمنة تناقصت بركتها وأصابها مس هي الأخرى وتلبسها شيطان الوقت ٠

هاهو موعد ذكراك يحين ٠٠ وكل ما أهلته عليه من جبال النسيان يتهاوى ويذوب ويسقط ٠٠ وتهل ذكراك ساطعة ٠٠

نافذة ٠٠ محققة ٠٠ بهية في أوج سلطانها كأنها لم تغب وما أعددت للقياك سوى صبارتين حزينتين سوف أضعهما على قبرك ٠٠ هاهو نفس الطريق لنفس المدينة الموحشة التي احتضنت رفاتك ٠٠ تقطعه الحافلة العمياء ٠٠ بنفيرها الأحمق الكريه ٠٠ سأقابل نفس الوجوه الأسمنتية ٠٠ يسير الدفان بين القبور يغنى٠٠ نعم يغنى تعانق نغماته الفاجرة الصمت المطبق ٠٠ وذرات الهواء الرطب الساكن وحبات التراب المبتلة الممزوجة بأجداث وعظام متحللة ٠٠ وسأسمع نفس التعليقات أنى ازددت نحولا وازدادت عيناي عمقا وغوصا في محجريهما ٠٠ فأوقن أنى مع كل تجربة كنت أفقد بضع كيلوجرامات من لحمى وعدة لترات من دمى وبت أختزل ويتقلص الحيز الذي أشغله من الفراغ ٠٠ وعند باب المقبرة تلكأت ٠٠ كلما أكلني الحنين إليك ازددت يقينا أن موعد لقيانا قد اقترب٠

(٥)

هل ينقذني صوتاكما أيها الأموات ٠٠ بينما الأحياء لا يملكون ٠٠هل تملكان وأنتما الفانيان أن تقلبا موازين دنياي ٠٠يا من أعيش معكما أكثر مما أعيش مع الأحياء ٠٠ هل تدركان أن أبراج التعاسة التي بت من اقدم سكانها ٠٠ وباتت تحوم حولي خفافيشها ٠٠ تطبق على رئتي ٠٠ أيها الرحماء دهمنى فقدكما فأصبحت كريشة تذروها الرياح ٠٠ تتخطفها المرافئ ٠٠ تدق كل الأبواب٠٠ ومامن باب واحد يفتح ٠٠ أي مارد انتفض من صدري بعدكما فبت أطارد الحياة التي تجلدني أحزانها وتقصف أظافري المتحدية ٠٠ أصابتني لوثة جنون وعشق للحياة تندلع ألسنتها من جسدي المشتعل تجعلني أعب من الدنيا كأنها كأس لايني يفرغ حتى يمتلىء٠٠ لاتنتهى معه مسبحة ملذاتي ٠

(حوارية ربما كانت في السياق)

قال على : كأني بك إلكترونا انفلت من ذرته وتاه بين المجرات أو صفرا تائها بين خانات العشرات والمئات تنتهي عنده الأرقـــــام
قالت: اكتبي قصتي اخرجي من دوائر الحب والمـــــوت
تأملت نصفها السفلي ارتعدت أطرافي ٠٠ كانت مثلى حنـــجرة تموء وتخرج أصواتا ٠٠ تلاقى نصفها السفلي الهيكلي مع باقي جثتي فتآلفنا فالجثث وأنصاف الجثث يتقنان أبجديات التعـــارف
قالت ابنتي :ماما رأيت خفاشا بالمنزل حاولت جاهدة التحقق مما قالت وبعد عدة أسئلة اعترفت أنها لم تره ٠٠ لكن رأت ظلـــه ٠٠ حاولت عبثا أن اقتفى أثره وتعجبت أنها أبدا لم تره في حال وجودي

مدخل أخيـــــــر

تسقط الحواس تباعا أتوق للمس أمي واحتضانها ٠٠ لذلك البعيد الغارب ٠٠ أتوق لمذاقات صباحاتها الباكرة بملابسها المعبـــقة برائحة عرقها المميز مختلطة بروائح طعامها ٠٠ لم يبق لي غيـر عيناي وطبلة أذناي ٠٠ نصحني الطبيب بالبعد عن شاشـــــة الكمبيوتر وقال لاتقرأى ٠٠ لاتكتبى ٠٠ لاتأتى بأي عمل يجـــهد عينيك٠

(٦)

أتوق معك للحظة عناق وحشى ٠٠ أحترق في أتونها ٠٠ قل لي كيف يكون نيل المنال ٠٠ والتأرجح بين شواطئ الأمل ثم السقوط مغشيا عليك على شواطئ الحلم المستحيل؟

قل لي كيف يكون الثلج ماء مغليا ؟كيف أغير خريطة مسار القدر؟

تمد لي يديك فأحتضنك لاشيء يؤكد لي أنى أحتضنك وحتى حضنك بدا يابسا غريبا ٠٠ يطبق على أشلائي وتطرقع منه عظامي تكاد تتكسر بين يديك ٠٠ تندهش للصوت ٠٠ تتأملني للحظة ٠٠ تنظر إلى فزعا أرى صورتي في مرآة عينيك الهلعتين جمجمة سوداء متآكلة على هيكل عظمى مجوف ٠٠ أناديك تنخلع نظراتك تنظر إلى عيني النخرتين وفمي الواسع المعتم وفكي اللذان ينطبقان وينفتحان تتكتك عظامهما وهما

يناديان اسمك ٠٠ تصرخ تهرب منى وتظل بأ قصى سرعتك

تجرى ٠

فهرس

حرب التفاصيل الصغيرة

بقلم حنان سعيد

تتصدر الستارة المخملية الداكنة المهيبة البهو العريض على الجانبين تصنع ضفيرتين .. بينهما الستارة التل البيضاء .. تتطاير عناقيد عنبها عند هبوب أي نسمة هواء .. كوجه عروس فى خدرها.
وراءها يجلس هو دائماً في ركنه المفضل يدخن سيجارته وابتسامته الغامضة معلقة على جانب شفتيه.
جناحا المكتبة المستديران الغائصان في عمق الجدار .. يحتضنانه يقفان وراءه ككورس .. سماعات "الستريو" الضخمة ترقدان تحت قدميه ككلبين وفيين واسطواناته المفضلة بنفس الترتيب الذى يحبه " البولونير شوبان " " بورإليز بيتهوفن " " الدانوب الأزرق " شتراوس واسطوانات أخرى مجهولة ومعروفة
" باخ " " رحمانينوف " " فاجنر " " شوبرت " وضعها بنظام غير قابل للتعديل وعلى الجانبين ترقد الرائعة " زهرة الخشخاش " لفان جوخ و " المرآة " للمتمرد سلفادور دالى .

في الناحيـــة المقابلة للبهو أجلس أنا .. شاردة .. أتأمله .. على وجهي ابتسامة واهنة .. فستاني الأزرق ينسدل طويلاً لأسفل حتى يحدده إطار ذهبي عريض بمنمنمات ذهبية .. هكذا تبدأ طقوسي اليومية .. أجلس على الكرسي الهزاز .. في منتصف البهو أصغى لحديث الصور يتراشقان بالنظرات .. تارة في اتهام .. وأخرى في عتاب .. وتارة في غيظ .. تنتهي دائماً بضحكته الساخرة المستفزة المعلقة على جانب شفتيه .. نفس الضحكة الكريهة .. التي لم يفقدها حتى مع سنين مرضه الطويل الممض .. أنفض الذكريات .. أنهض لأتجول تجوالي اليومي الممل .. ردهات تحملني لغرفات .. وغرفات لصالونات و أنتريهات .. سلالم .. دهاليز .. متاهات .. محطات انتظار طويل لا ينتهي .. لا يؤنسني سوى صوره التي تمردت على أطرها .. سمح له أن يلصقها في أي مكان و بأي نظام كان .. أمرر يدي عليها أمسح بيدى تفاصيلها الصغيرة .. أتحسسها .. أدللها .. أداعبها .. تؤنسني .. تصطدم عيني بأوراق النتيجة تمد لي لسانها الطويل بآخر وريقة من أوراق الانتظار .. أرميها على الفور في سلة المهملات .. دقات الساعة الكبيرة .. تعلن عن قرب مقدمه .. يأتى إلى بخطواته السريعة .. تسبقه عاصفة الكلمات المتزاحمة على شفتيه .. تدفق بأمواج صاخبة من السعادة تبدد صمت جدران المنزل الساكن يندفع للستريو .. يضع شريطاً تافهاً لمطرب شاب .. يغنى معه عالياً عالياً .. خصلاته البنية .. تتقافز .. تمرح .. خيلي كثيف ناعم .. يدي تريد أن تغافلنى لتمتد .. تعبث وتمشط وتعربد تعيد ترتيب الخصلات .. تنساب من يدي .. تهرب .. تراوغنى .. تعيد ترتيب نفسها من جديد في بعثرة بوهيمية لذيذة .. تتربع فوق رأسه .. لا أدرى من فيهما يراوغني .. يحكى إلى عنها أقول " س ..؟ " يضحك مرحاً .. ياه أمازلت تذكرين هذه " م " .. بنفس الحماس يحكى عنها .. يصفها لى قطعة قطعة .. أصغى وفى رأسى آلاف المقاييس والمقارنات .. آلاف القطارات تصطدم .. تتقابل ..

تفترق .. آلاف من أسراب البعوض تلدغني .. مازالت الابتسامة القناع على وجهي تغريه بمزيد من التفاصيل .. تتمزق معها أوردتي .. تتحول لقصاصات صغيرة تهوى وتسقط .. بنفس النبرة الحماسية يحكى عن مشروع خطبته المتجدد دائماً وأبداً ينفخ القصاصات فتطير .. أداعبه أسأله عن الرقم تتلون خدوده السمراء " لا هذه المرة جد والله العظيم جد " أعيد الإبحار في التفاصيل الصغيرة لوجهه غير الحليق .. الخال الصغير أعلى خده الأيسر .. طاقتي أنفه المستطيلين .. أسنانه عديمة الترتيب والتي تعطى مذاقاً مميزاً لابتسامته .. عبير فمه الجذاب كأنه توا قد انتهى من تنظيف أسنانه .. أستنشقه مرات ومرات أثناء حديثي معه رأسي ترسم مئات الأشكال لفمه يفتح .. يغلق .. أتخيل ملمس أديم شفتيه الندية اللدنة .. هذه الخطوط الرقيقة طولية وعرضية .. على شفتيه تنكمش .. وتتمدد .. ترسم الواو والعين والميم .. أتخيلها تهمس .. مضمومة .. مفتوحة .. كل خط يحمل .. تعبيراً .. أقفز للعينين .. برادة الحديد الهشة تنجذب .. تنسحب قهرياً لمغناطيس العينين .. والرموش الفاحمة غابة متشابكة .. غامضة .. تنتصب مشهرة أشجارها عالية .. وراء كل رمش عالم لا أعرفه .. أتوه من الملاحقة .. ألهث على ضفاف العينين .. أتمدد .. أرسو .. هذا هو عالمي ..

تمتد يده للمصافحة تدغدغ يدى شعيراتها المنداة بعرقه المعطر الذى سيكون رفيق لساعات طوال .. تنكمش يدى شفى يده .. بكر يدى ما زالت .. فلبى أرض عذراء لم تطأها قدما مخلوق .. عقلي موصد .. وريقة بيضاء لم ينقش سطورها أحد .. محراب بعد لم يغشه بشر .. يسألني عن رأى بديباجته الكريهة : " يا طنط " عقارب كلماته تنفث سمومها في أوردتي توقف جريان دمى .. عقلي المشلول مدينة تعطلت شبكة مواصلاتها فجأة .. أرتبك يكرر سؤاله .. أتلجلج .. أتلعثم .. أتذكره طفلاً على ركبتى أؤرجحه ..

يافعاً مخضر الشارب تحاصرني صوره .. على الحوائط .. تحتشد .. تنشب أظفارها في عنقي .. في يده كان يصحبه زوجي .. ابنا له لم ينجبه .. يذبحان معا الأضحية .. معا بلباس البحر يحملان السنارة وصيدهما الوفير وعلى الشفتين ابتسامة الانتصار .. الجسد اليافع رباني التنسيق يرسله لي زوجي حاملاً حاجيات المنزل .. عينا ترسلان له إشارات خفية لا يفهمها قط .. لا يريد .. أنى لرأسه البريء أن يفقه وأنى لرأس زليخاً أن ينسى ..؟ أدعوه يوسف يأبى .. كيف يخون مولاه ومن لا يعرف سواه يدعوه أبى .. ألقى ثمراتي المحرمة ومدنى التي لم يطرقها بشر بين يديه .. تهمس له تصرخ لا يسمع .. وعندما يراني يغض الطرف .. تنتفض أوردتي .. يزدحم صدري .. يجيش قلبى .. تتثلج إطرافي .. بيني وبينه صورة بإطار مذهب كلما أتاني ينفحنى الإيراد الشهري يجلس أمامها مقدساً بصوت خاشع " ألف رحمة ونور يا بويا " أختلس للصورة نظرة تخترقنى .. نظراته متشفية ساخرة مقهقهة " لن تستطيعي ".
أصيح فيه " لن أكون هندية يذرون رفاتي معك ..لن يطير رمادي في الريح لن أكون" .
قديسة أنا يظنني .. فى مقام الأم يضعني .. كنوزى لمن أهبها .. ألمرآتى وحدها .. ؟ وهذا الثوب الأسود تاج مرصع بالأشواك يخزني .. كلما ارتديته كل العيون لا تريد أن ترى دونه .. لا تفكر في النار التي تتشظى تحته .. توشك أن تحرقه وتحرقني .. جثة مشتعلة أنا .. جسدي مستنفر كجيش على أهبة الاستعداد له .. لو ناوش أحد ثمراته لسقطت من تلقاء نفسها بين يديه .. قلعة ظاهرها منيع وباطنها متهاو.. نعم أنا الزوجة الوفية المخلصة التى ستظل باقى عمرها تعض البنان وتريق الندم على مذبح الوفاء وتذرف إكسيرها على جدران معبد هوى عنيد .
يتحدث إلي يستأذن أن يأتى إلى الآن .. أحدث ذاتي .. ليس موعده .. تغشاني الدهشة .. تزغرد ذرات كياني .. تتمرد خصلات شعري

على برجها العاجي من عليائها تسقط على المنكبين .. أجرى لدولابي .. أطرح سواد ملابسي أرضاً .. أنتقى ثوباً ليليكياً .. تبزغ منه أزهار بستاني مؤرقة وسط مظاهرة الزهور .. يدق الباب .. تصدح عصافير الكناريا يقف أمامي مذهولاً .. مطأطئ الرأس .. عيناه فراشتان قلقتان تحومان على كل شيء سواي .. كأنما يتجنب النظر .

يمد لي يده بالإيراد .. يسحبها مرتجفة كفرخ حمام مبتل .. تحاصره النظرات .. يتوقف شلال الحديث المتدفق بيننا .. شئ داخلي يفرز قلقاً .. رهبة .. انتظاراً .. يشتد وجيب قلبي " ماذا بك .. ؟ " أقولها واجفة يتنحنح " لا شيء ".. حديثنا عقد انفرطت حباته .. أحاول عبثاً .. جمعه يخبرني في اقتضاب عن اعتزامه السفر .. أن أبحث لي عن آخر يدير لي دكان المرحوم ..!

يظل وعى يسترجع الجملة مرات ومرات .. تحط غربان الصمت .. عيناي تمسحان وجهه مرات ومرات .. تمسحان التفاصيل الصغيرة التي كانت هدفاً لأحلامي ليال طوالاً .. تظل تطن حولي .. رموشه .. شفتاه .. شعره .. كلماته .. تدور وتدور .. طنينها يثقب رأسي .. تصنع من دوراتها حبالاً تلف بها جسدي وأنا بلا حراك .. أغلق الباب أخلع ورداتي الذابلة ألقيها في قاع دولابي .. أسحب فستاني الأسود أقف فى البهو العريض .. من خلف ستارة التل البيضاء ألمح نظراته الفاجرة تنظر إلى في تشف .. تلاحقنى قهقهاته .

تمت

فهرس

١-٢

(١)

يرتقي درجات السلم قفزاً .. خمس درجات في درجة .. ينتقل بكرسيه الدوار من شاشة الكمبيوتر إلى الفاكس .. يرسل خطابين .. يتلقى تليفوناً على الهاتف المحمول .. ينسى فنجان قهوته .. دائماً يشربه بارداً .. أكثر من ٤ فناجين قهوة باردة ترقد على المكتب كالشواهد .. و دائماً ينسى السيجارة .. يسحب من أنفاسها قليلاً ثم يتركها تنطفئ من تلقاء نفسها و يتبقى عامود رمادي هش طويل .. تمتلئ المنفضة بأعقاب كثيرة .. واحد .. اثنان . عشرة عشرين .. أكثر .. تطرق السكرتيرة الباب تضع أمامه ملفات .. يتفحصها على عجل .. يقرأ خطاباً كتبته على الكمبيوتر .. ينبهها إلى بعض الأخطاء .. تذوب ابتسامتها .. تنصرف .. يعود لفحص الملفات .. يغرق وسط ركام من الأوراق و الملفات يغوص في حناياها .. يدخل الساعي بصينية عليها فنجان قهوة أخر سوف تحل عليه اللعنة التي لحقت برفاقه على المكتب .

(٢)

تقف بمعطفها الأبيض الناصع على السيراميك الأبيض المتقاطع .. مربعات .. مربعات .. أمامها مئات من العينات .. تكتب ملاحظات .. تجلس متململة أمام شاشة الكمبيوتر .. ١٩٨ بياناً أدخلته اليوم .. تحكم وضع النظارة على عينيها .. أفواج تمضي .. أفواج تأتي .. عشرة رجال.. خمس نساء .. زحام .. تسلم نتائج .. يسألون .. تجيب .. توقع أكثر من ١٥٠ نتيجة .. تبحث عن نتائج أخرى .. تسجل .. تنسخ .. تسلم .. ترتدي قفازاً .. تخلط مكونات في الأنابيب .. تصنف .. تعنون .. تدون .. ترسل نتائج بالفاكس .. تتلقي مكالمات .. ترد بفتور .
ترشف من كوب الشاي .. ينادونها للاستفسار بشأن أحد التحاليل .. تكتشف أن هذا رابع كوب شاي لم ترتشف منه سوى رشفة واحدة .

(١)

منغصات .. آلام .. عملاء يصرخون عبر الهاتف من عقبات في التنفيذ .. عميل واحد تحدث أكثر من ١٠ مكالمات .. ينفعل مهتاجا و ينهي المكالمة في غيظ .. زيارات غير مرغوب فيها من عملاء آخرين .. مجاملات إجبارية مفتعلة .. هذا هو الشهر الثالث الذي تظل فيه الحالة المادية متأزمة .. صراعات مشتعلة مع منافسين آخرين .. ٣ شيكات مستحقة لم تدفع حتى الآن .. ألم غير عادي في الرأس يكاد يشطرها لنصفين .. فناجين القهوة فقدت فعاليتها و كذلك ثلاثة من الأقراص المهدئة و قرص الضغط المرتفع . على الهاتف يطلب من سكرتيرته ألا تتلقي مكالمات أخرى .. يرتمي على كرسيه في إعياء .

(٢)

تطلب إحدى السيدات المترددات مقابلتها .. تلفت نظرها في كلمات لاذعة لخطأ وقع فيه المعمل بتسليم نتيجة بدلاً من أخرى .. تعتذر في لباقة مؤكدة أنه خطأ غير مقصود لم يحدث من قبل . تجلدها السيدة بقوا رص نظراتها .. فور انصرافها تصب جام غضبها على الفنيين .. تحاول محاصرة المسئول عن الإهمال .. تفاجأ بعملية التفاف و تعتيم من الزملاء على الحقائق و على بعضهم .. تصرخ .. ينفلت لسانها . تتفوه بألفاظ سوقية مدرجة في قائمة المحظورات .. تشعر بغليان الدم في عروقها .. غليان وجنتيها .. احتباس صوتها و ارتعاش شفتيها .. تنهار على مكتبها .. رأسها بين راحتيها .. تسرح بأفكارها .

(١)

جالس في الليل أمام التليفزيون .. عن ظهر قلب يتلو مقاطع الفيلم قبل أن تنبس بها شفاه الممثلين يقلب " بـــــالريموت كونترول" المحطات العشر الرئيسية .. ينتقل" للديش" أكثر من ١٢٠ قناة أكثر ملاً .. يذرع غرفته ذهاباً و إيابا .. تدعوه أمه المريضة لمرافقتها للحمام .. غصة بصدره .. ألم غامض يدكه دكاً كلما رآها تتدهور على هذا النحو يوماً بعد يوم .

(٢)

تجبر نفسها على القراءة كل ليلة .. حيلة نفسية مشهورة لجلب النوم لجفنيها المؤرقين دائماً .. قليلاً ما تفلح .. تفشل كل

تمرينات اليوجا و تدريبات التنفس و الاسترخاء الذهني الإجباري .. تنظر لعلبة الأقراص تخرج لها لسانها الطويل بعد فشل كل محاولاتها تبتلع قرصين تظل بعدهما تحدق في السقف أيضاً و في المنبه الذي تتحرك عقاربه ببطء .. في كل دقيقة و كل ساعة عقرب يخرج لها من المنبه يلدغها .. تظل تتلوى في فراشها كحية .. في انتظار ما لا يقع .

(١)

أوصي الطبيب لوالدته المريضة ببعض التحاليل .. يصحبها للمعمل .. برقة مرحبة تسحب عينة من الدم .. مازالت رشيقة أنيقة كعهده بها .. ابتسامتها الذكية على المحيا تصلح لإعلان جرئ عن معجون أسنان .. تدور في نشاط في معطفها الأبيض كمايسترو يتابع أدق التفاصيل .. تعشق عملها مثله يختلس نظرة إليها و هي تعزف فالس عشقها الرائع لأنابيب الاختبار و آلات التعقيم و شاشة الكمبيوتر .. ليست المرة الأولى التي يتقابلان فيها في كل مرة شيء كسول ينتفض من مرقده .. يتفتح كزهرة في أكمة .. دبيبه يتحرك ببطء يصعد درجات السلم الموسيقي .. يعلو .. يتسارع .. يتصاعد .. يراه .. يراها .. لا يراها .. لا يراه .. تراه .. لا يراه .. شيء لا يمكن إمساكه باليد .. للأم نظرات نافذة .. تبتسم ابتسامة رضا حانية لا يعرف لها تفسيراً .

(٢)

بحكم عملها ترى الكثير و الكثير يرونها .. ارتادت كل المعارض .. ذهبت لكل المناسبات .

لم تترك عزاء ولا عرساً ولا" سبوعاً" ولا نجاحاً لتلميذ من الأقارب أو الأباعد إلا و شاركت فيه فكانت النتيجة أن :
٢٠ اقتربوا منها .. ١٣ تلمسوا الأحاديث معها .. ٣ تمنت أن يكون من بينهم زوج لها .. ٢ تحدثا معها بهذا الشأن بطريقة غير مباشرة .. وواحد بطريقة مباشرة أميل للفجاجة منها للحياء .. جعلتها تنفر من مجرد ذكر أسمه .
في المعمل طبيب شاب يقترب من سنها لكنه مرتبط و تقربه إليها يثير شكوكها و في الكلية كثيرون هم لكن معظمهم يصغرونها سناً و تقربهم إليها يجعلها ترجح أنهم يريدون اللحاق بنفاثة التطلعات المادية و الاجتماعية بدلاً من انتظار ناقة المستقبل غير المضمون .
ماذا تفعل ..؟ من العسير عليها اجتذاب ٢٠ ذكر آخرين يقتربون من سنها و من مكان واحد .. و المحصلة في النهاية صفر .

(١) أخيرة

يعرف أن سكرتيرته تحاول غزل شباكها حوله .. أهدته في عيد ميلاده زهرة " بانسيه" سألته أن كان يعرف معناها .. أجل " اذكرني " شيء ما يجعله يحجم دائماً في اللحظة الأخيرة٠٠ يكسل .. هذه الفتاة المتدربة حديثاً عنده .. أحياناً يرسم لها في ذهنه صوراً كاريكاتورية مضحكة و هى تحاول ترقيق صوتها .. تحاول الاقتراب بأنفاسها من وجهه .. و هى تحاول أن تريق أنوثتها عليه .. تستعرض مهاراتها في العمل .. كثيرات هن النساء حوله .. يستطيع أن يتعامل معهن ببساطة كما لو كن أرقاماً .. صوراً .. لوحات .. تماثيل .. لكنه لا يجد لاهتمامهن صدى يجعله يهتز أو ينفعل .

(٢)

قال لها طبيبها النفسي أن تتعرض لمزيد من الضوء فهذا يفيد في تحسن صحتها .. مأساتها دائماً ليلية .. مرتبطة بحلول الظلام .. لحظة أن يسدل الليل ستائره .. شعور بليد غامض يلفها بملفعته .. يهزم روحها الوثابة .. يشعرها بعدم جدوى كل هذا الجري الصباحي .. تفكير يسلمها لآخر .. سكاكين غير مرئية تمزق أوتارها حالة عسرة مزمنة من الأرق لا حل لها .. تحاول أن ترتق ذاتها المهلهلة .. فهي من برج شمسي مقاتل يعشق الضوء و الذهب و كل ما هو أصفر .. فالأسد لا يحب أن يمنى بالهزيمة إلا إن كانت شريفة .

(٢) مرة أخرى

سماع الموسيقا الكلاسيكية في الليل وحده عملية تفريغ رائعة .. يكون في ذروة التوهج ليلا .. فهو من برج مغناطيسي ليلي .. فالعقرب دائماً يسعى في المساء .. يستعرض يومه المشحون الفارغ رغم امتلائه تغازل عينيه ورقة نتائج المعمل .. يلتقط اسمها الثلاثي .. يدق ٣ أرقام يسأل يرد عليه صوت أجش برقم من ٧ أرقام .
يرد عليه صوتها الكسول النائم : آلو .. يتيقن من بحة صوتها أنها هى يرد عليها بكلمة من ٦ حروف : أ.. ف.. ت.. ق.. د.. ك

نصف شمس

(١)

على نحو مباغت ٠٠ تجلت الشمس في يوم شديد الاكفهرار ٠٠ والجو يحمل إنذارات متعاقبة بسيول منهمرة ٠٠ قامته النحيلة تقبض على كراسة مهترئة يضمها لقلبه في حرص ٠٠ فبدا كطالب ثانوي قادما من درس أو ذاهبا إليه ٠

تقف قبالته مولية قامتها الفارعة لمقلتي الشمس المحدقة ٠٠ ملقية بطرف حجابها المنمق في ملل على زاوية كتفها في إهمال – ذواتى – متعمد٠

كان بريق الشمس ينعكس على وجهه فتلمع جوهرتيه في وجه الشمس٠٠ يتحدث إليها تصغي بنصف التفاتة ٠٠ نصف اهتمام ٠٠ نصف وعى٠

متابعة بالنصف الآخر ٠٠ حكايات على الطرف الآخر ٠٠ ثرثرات ٠٠ قفشات ٠٠مناوشات لآخرين يقفون حولها ٠٠ يعابثونها ٠٠ يتعمدون الحديث بصوت مرتفع لتلتفت إليهم ٠٠ فتضحك حينا ٠٠ وتشير إليهم أحيانا بإيماءات خافتة تبتسم لهم نصف ابتسامة٠٠ تخبو ابتسامته ٠٠يتكسر بريق عينيه على شفتيها ٠٠ تلاعب مقلتيه قلادة٠٠ينعكس بريقها لماعا في وجهه ٠٠ تحمل صورة أعزائها ٠٠ تمنى للحظة لو يتقلص وينكمش ويختصر حجمه ليوضع إلى جوارهم٠

نصف قمر

(٢)

رنا إليها ٠٠ دنا منها ٠٠ كانت إضاءة نصف القمر الذي يتوسط السماء تنعكس على وجهه ٠٠ كانت تتعمد بشكل مباشر ٠٠إلقاءه في بؤرة الضوء
وأن تكون حزمة الإضاءة مسلطة على عينيه ٠٠ كانت الاضاءة تضايقه ٠٠كان يتعمد دائما أن يتفاداها ويبعد عينيه عن مصدرها ٠
كانت تستعذب نهرى الدفء المتدفقين منهما ٠٠ كانت الرسالة هذه المرة أكثر وضوحا٠٠أكثر تحديدا ٠٠ همست لنفسها ٠٠ إنه ليس من هذه النوعية التى تفضلها في الرجال ٠
ظل الخيط مشدودا بين نظراتهما لايرتخى ٠
رقدت على فراشها في المساء ٠٠ في يوم صيفى شديد الحرارة ٠٠ كانت أشعة نصف القمر المعابثة ٠٠ تتسلل في خبث من خلف الستائر اكتشفت أنه بطريقة سحرية ما اقتحم قلعة أفكارها وامتلك قدرات على اختراق رأسها والنفاذ معربدا إلى أغشية دماغها والرقاد حيا بين أفكارها ودس جنين حلمه في أحشائها فبات يتنفس معها ويقاسمها طعامها وفراشها وسائر وظائف حياتها ٠
تيقنت من هذا الليلة ٠٠ بعد أن حلمت بنفس الحلم الذى حلمه هو من قبل ٠٠ دون أن يجرؤ على أن يبوح لها منه بكلمة واحدة

ثلاثة أطوار للوردة

الطــور الأول

هو..هو .. نفس المكان مرساي ونهاية تطوافي اليومي .. عادة أصبحت أسيرة لها .. طقوس قهرية لا أستطيع الفكاك منها .. أنفقت شطر عمري هنا .. جعلته قبلتي .. حتى أفكاري دائما تدور حوله .. لا تنفلت من مجال جاذبيته . متجذرة أنا في أرضه .. أصعد بعيني قمة العمود الكورنثى بسمته وشموخه ينتصب .. واحد ..اثنان .. ثلاثة ..أربعه أعمدة صديقة تعرفني كما أعرفها يفوح منها عطر قديم .أمسحها بعيني العاشقتين .. أتيمم عبيرها .. أتحسس لونها .. لون الأفق الغارب .. كلما مررت ناحية هذا القصر أشعر بقطعه من روحي تسكنه .. أي ريح طيبة تتضوع منه تحمل لي أريج فراديس مفقودة من زمن قديم أصيل .. فتنضو عن حواسي صدأها.. أقترب .. تغمر أنفى رائحة الورد .. أنظرمن خلف الفاترينه الزجاجية .. ألمحه وهو يغتسل بشلالات الماء ..أغمض عينى و أستنشق بعمق وأغتسل وأغتسل .

أصعد درجات السلم.. كل درجة تقربنى من أرض لا أريد أن ألمسها أفاجأ بوجودها.. ينقبض صدري ..تضمني إليها بحرارة غير معهودة .. تقبلنى .. تنهمر الدموع من عينيها وهى تصيح " مبروك يا أختي ربنا يهنيك في بيت العدل " أمومة مفاجئة هبطت عليها لا أدري من أين .. أنظر اليها في دهشة و قد انفتحت ضلفتى فمها على أخره حتى ظهرت منه لهاته و هى تزغرد و كأنها تصرخ .. أشرت لها بيدي أن تكف .. خبطت بكفها على صدرها و

ما زالت تصيح "مالك يا أختي .. فكيها بأه و كفايه نكد .. ده اليوم اللي منتظرينه من سنين مش عاوزانا نفرح ولا إيه ؟ " رنت كلمة سنين كصنج .. ثقبت أذني كأبرة صدئة .. أيقنت أني يجب أن أتحمل والإ فإن حنانها المفاجيء سوف ينشب أشواك صبارته في جسدي .. و لن يتركه قبل أن يدميه .. و يستنفر كل جيوش الكآبة التي تقف عندي دائماً عند منطقة الحدود بين الفرح و الحزن .

بالأمس تركت لها جسدي تعبث به كيفما تشاء تفض أسراره .. تعري محاراته المخبوءة .. عملية تعذيب وحشية تدعى " حلاوة " ابتكار غبي ابتدعته المرأة لتعذيب المرأة .. لابد أن تكون المرأة ناعمة كقطيفة .. طرية كعجين كي تعجب من يبتاع .. و اليوم أسلم وجهي لامرأة أخرى تنزع منه هذا الزغب الخفيف الذي لا يكاد يرى حتى أشعر بأني صلعاء الروح و الجسد .. وجهي يؤلمني .. جسدي يؤلمني .. ينساب عليه الماء في خطوط مستقيمة كأنما محيت تضاريسه .

لا أعرف أي منطق في هذه الطقوس البدائية التي نسير مدفوعات كسوائم لا أعرف لماذا استسلمت لن يضيرني شيئا أن أسلم جسدي بعد أن سلمت روحي .

امتلأت غرفتي بقريبات و صديقات و كثير من الأطفال .. كلهن بعيدات .. لا صديقة أثيرة للقلب .. وجهي ملطخ بأصباغ تجعلني كطير جارح .. روحي محايدة لا تشارك ... بعيدة تماماً عن كل هذا العالم .. تحاصرني رائحة الزهور في كل مكان عبيرها يخطف الأباب .. دائماً الزهور في الفرح و الحزن .. تفيض أفكاري موجات متتالية تدفع بي لنفس المكان أطير و أحلق حوله .. هذا المكان الذي أشرقت عليه شمس قلبي و غربت آلاف المرات في اليوم .. حيث سكنته و سكن حجرات قلبي الأربعة يداعب شراييه و أوردته .. تارة يقصيها و أخرى يدنيها .. يبسطها فيتدفق الدم حاراً منها و إليها أو يقبضها حتى يكاد يتوقف

فيها النبض .. إلى أن سكن هذه الشواطئ المجهولة و لم يعد .. ترك روحه .. تطل علىّ لا أدري من أي مجرة أو كوكب هائمة في سديم عقلي الذي لا يكف عن الدوران .
يأتي مبتهجاً .. لا أدري لماذا شعرت فجأة بقبحه و قد صبغ فوديه و لحيته بلون أسود كريه فبدأ كحذاء بعد تلميعه كانت الدفوف تدق حولنا دقاً عنيفاً كطقوس رقصة إفريقية لآكل لحوم بشر عتيق يجرجر وراءه ابنته كأنه يجر كيساً من القمامة تقبل على وجهها ابتسامة حربائية مقبضة تهنئني بكلمة كأنها صفعة " مبروك يا مرات أبويا "

الطـور الثـانـي

من المؤكد أن الزواج شيء آخر .. أو ربما كنت أقصد شيئاً آخر .. مخلوقاً آخر .. في كل لحظة يذبح خيالي .. ها هى الظروف تشنق إرادتي و تملي علىّ إرادتها مبدأه ما دام الرجل ينفق على بيته فهو مطاع علاقة نفعية لا تصلح إلا أن تكون علاقة سيد بعبد .
كم تخيلت ذاتي في ثوب سماوي بأكمام واسعة موشى بالدانتيلا .. و خيوط كثيرة لامعة ذهبية و فضية أدور في شقتي كفراشة أحيل كل ركن من أركانها ضياء .. أوقد في ركن شمعة و أضع على كل مائدة زهرة .. زهرة حقيقية . أنتظره على العشاء .. نرقص معاً على أنغام الدانوب الأزرق .. نطير كملائكة .. أتخيل جسده السمين .. كرشه الكبير البليد .. شعر صدره الأبيض المشعث .. بعيد تماماً عن الرومانسية .. غاية أحلامة أن يشتري سلعة بسعر أرخص أو أن يكشف أحجيات و ألاعيب باعة غشاشين ثم يتشاجر معهم و يعلو صوته بالسباب . أحدثه عن هذا المحل العتيق الذي احتل دوراً أرضياً في قصر مهجور .. يعرض وروده دائماً بشكل مبهر يصنع بحيرات و بجعاً .. محارات و أصداف .. حيوات يصب فيها زهوره .. ينفصل

عني لا يصغي إلى لا تتلاقى موجاتنا أبداً عندما يتحدث يتصاعد وشيش كصوت وابور خرب لا يجعلني أسمعه و عندما أتحدث أنا يتصاعد نفس الوشيش فلا يسمعني .. هناك في نفس المكان بيتنا أنا و هو .. هكذا كان يدعوه يقول " سأزرع لك الريحان و الفل و الياسمين .. سأسدل على نوافذك ستارة من ست الحسن و أملأ أعتابك بالورد البلدي و كل ما يتضوع عبيره " . تأتي أبنته دائماً في زيارات مفاجئة و دائماً في عدم وجوده .. في نظرات كل منا للأخرى طلقات لا تنطلق .. تتفرس في وجهي .. تكاد تسلخ جلدي .. تتعمد أن تدور في أركان شقتي .. تدخل غرفة نومي كأنها تعريني .. تتصنع أي حجة للعبث في محتوياتها .. كأنها تتعمد أن تشعرني أنها ما زالت تملك هذا المكان .. تجوس بنظراتها كأنها تبحث عن آخر يختبئ بين أضلاع الدواليب أو في ثنايا الفراش .. كأنما تتساءل .. هل هذا الشيخ قادر أن يملأ كيان هذه المرأة ..؟ كثيرات من صديقاتي ممن اصطلح عن تسميتهن .." فاتهن قطار الزواج " تزوجن زيجات لمجرد "الستر " .. ثم يعشن حيوات أخرى مع أخرين يتحققن من خلالها كإناث فيعيشن حياة مزدوجة تتحرك كل منهن تحميها مظلة زوجية مهلهلة و تفعل ما يحلو لها .

في إحدى زيارات شقيقتي شكوت لها .. لم أناقش هذه المواضيع من قبل معها أو مع غيرها قرأت كثيراً عنها لكن ما يحدث لي شيء منقوص لا يكتمل .. كما لو كان أمامي ثمرة دانية على وشك أن أمد يدي و أقطفها فيأتي من ينتشلها في لحظة و يتبدد كل شيء .. تململت .. تنحنحت .. قالت بعينها أكثر بكثير مما قالته شفتاها .. و لسان حالها يرجوني أن أرجع عما أفكر فيه .. هل هذه هي الحياة التى أحلم بها ؟.. حتى فساتين شهرزاد الجميلة التي طالما حلمت بها و ادخرتها و تمنيتها أودعتها خزانة ملابسي بلا ندم .
ذات يوم تجرأت و ناقشته في أسلوب حياتنا قال لي .. " اسمعي .. فاطمة الله يرحمها عمرها ما قالت لي ثلث الثلاثة كام و اللي عايز

يعيش معايا ما يناقشنيش " كنت أنظر إلى راحة يده الممدودة و هو يتحدث كانت قبضته مخيفة كبيرة كنت أشعر أنها ستنهال على صدغي في أي لحظة .. مجرد كلمته كانت صفعة مدوية جعلت أذني تصفران بصفير مدو ظل يلاحقني لا يحمل سوى أمر واحد لا يقبل المناقشة " اطلبي الطلاق " .

الطـور الثـالـث

في صباح اليوم التالي نهضت ربما لأول مرة من فراشي .. في خفة .. أحمل معي قراري .. محلقة كفراشة لا شيء سوف يكسرني بعد الآن .. حياة واحدة نحياها لن يحملني لقب عن اتخاذ قرار كما دفعني من قبل للإقدام عليه طبع قبلة على جبيني و أهداني وردة قال "لأنك تحبين الورد "انقبض قلبي بدت ابتسامته راية بيضاء على نحو مباغت لجيش أعلن الحرب .. ابتسامة نائية كشمس تطل في يوم خريفي ثم تختفي بين ندف السحاب و قفت بالشرفة لنشر بعض الملابس استرجعت لفتته الرقيقة تأملت الوردة حمراء قانية .. تحسست أوراقها بأناملي .. هل يعلم أن هذا الكائن الهش الجميل يمكن أن يكون له تأثير السحر علىّ ؟.. أو قد يكون رسول سلام بيننا .. تذكرت فظاظته معي طيلة الشهرين المنصرمين .. هل يمكن أن يخفي وراء فظاظته تلك قلباً هشاً كهذه الوردة .. ؟ لم لا ؟ حتى الوردة الناعمة الرقيقة لها أشواك تخز بها من يلمسها .. ربما شعر في أعماقه أني منصرفة عنه و أني تزوجته حلا لموقف فسرى تيار الجليد بالتأثير مني اليه أو ربما أنطبعت مشاعري على وجهي أو أو .. لجج أفكاري تجعلني مختلطة و قد تبدد

حماسي الذي بدأت به النهار . كان ثمة صياح و جلبة كثيرة تتناهى إليّ من الشارع مناوشات يومية تافهة بين أناس و باعة اعتدت عليها في هذا الشارع الحي ..
مشاجرات في أغلبها عنترية لسان قل ما تسفر عن معارك حقيقية .. لكنني كنت أجد فيها سلوى تلهيني عن دوراني اليومي حولت قبلة أفكاري التي لا أستطيع أنتزاعها من رأسي .
لا أرد على رنين الهاتف فأنا لا أنتظر أحد .. دائماً عندي حالة تشبع تجعلني أزهد في الآخرين .. وحدتي تاج مرصع بالأشواك اخترته طائعة لأنه يقيني جروح الناس .. فأنا أتقلص في وجودهم كقوقعة .. أدنى تعامل مع أعلاهم طبقة لأدناهم يقتطع أجزاء مني كوردة تنسل منها أوراقها ورقة ورقة .
ها هو الهاتف يلاحقني ملحاحاً .. مصراً .. أرد في ضيق .. صوت غليظ يسألني .. " حرم السيد فلان ؟" أرد مغيظة " نعم " يتنحنح " سيدتي زوجك صدمته سيارة و قد وجدنا رقم تليفونك في أوراقه هو الآن في .. " جبل ينهار داخلي صخرة صخرة تسقط من الذرى ضربات قلبي موجات ساخنة تتدفق متلاحقة تصعد لرأسي تهبط لقدمي لا أتذكر ماذا لبست ولا كيف هبطت للشارع كل ما أذكره شكل مربعات السيراميك البيضاء الكبيرة .. بقع الدماء المتخثرة عليها .. لأول مرة في حياتي أدخل هذا المكان يفتحون درجاً عريضاً يصر صريراً مخيفاً .. راقداً كان فيه .. وديعاً لأول مرة مكسور الجمجمة .. عينه متورمة و الأخرى تنزف .. الشاش يكسوه الدم .. معوجاً كان وجهه و شراعط لاصقة .. صلبان حمراء متراصة على الشاش .. تصنع علامات خطأ .. ممنوع .. رغبة في القيء تشملني .. و رغبة عارمة في الهروب من هذا الكابوس و الجري عارية على شاطئ البحر حتى أسقط منهكة من الإعياء في لحظات امتلأ المنزل بنسوة لا أعرفهن نحيبهن أسياخ ملتهبة تثقب جدران عقلي في وحشية .. تناثرت كلمات " القسم " .. " محضر " .. " شهود " .. " طبيب شرعي " .. "

لا طبيب القسم " يندبن يتذكرن محاسنه يدفعونني دفعاً لأشهد غسله .. رفعوا عنه الضمادات .. لوحة سريالية من لونين الأزرق ركبته وحول أذنيه و الأحمر دم يسيل من الفم و الأنف و مؤخرة الرأس و فوق حاجبه ثقب كأنه أثر طلقة .. تتمتم ابنته بآيات القرآن .. يتصبب العرق مني .. بكماء أنا .. تدور عيني في محجريهما تلتقطان صوراً أعرف أنها لن تفارقني بقية عمري .. أعود تتلقفني النساء الكثيرات .. يتصعبن و يمصمصن الشفاه .. شيء حارق ينساب من حلقي .. إلى صدري .. فراشي جمرات تلسعني .. ممنوعة أنا من مغادرة المنزل حتى تنتهي فترة العدة .. روحي تتوق لانعتاق .. لأن تطير و تحلق بعيداً حول مكاني الأثير .. حنيني يجعلني أهرب إليه بخيالي إليه من كل ما يحيطني من قتامة .. هل أصبحت زوجة .. لأكون الآن أرملة ؟.. أتجرد من ثيابي .. أرقص عارية أمام المرأة .. أتامل جسدي ما زال بضا .. ما زال متناسقاً .. ما زال وفيراً باذخاً يمنح هباته لكن لمن ؟.. أرقد على أريكة .. جسدي مفكك .. محلول الأربطة .. من يعيد تكوين أجزائي من جديد .. و يروي أرضي العطشى ؟.. بعثرت عمري في الهباء أبحث عن كلمة .. مجرد كلمة .. حقاً الحب بذرة إلهية لا يملك أحد أن يزرعها أو يشتريها .. تنمو في أي مكان و أي زمان حتى بلا تربة صالحة .. نعم هكذا كان بكلمة يعيدني إلى عصمة حبه .. و بكلمة يلقي عليّ يمين بعده إلى أن غاب و أصبحت بائنة من حبه للأبد .

أما الآخر فمنحني جواز سفر لبوابة دنيا أخرى .. أقف على أعتابها تحمل لي لوناً آخر من العذاب نفس الرغبة في التحلل من ملابسي تغمرني و الجري على شاطئ البحر حتى تنقطع مني الأنفاس أدور في أنحاء البيت لا أنتمي لأي جزء فيه لا يغطيني سقفه و لا تحتضني جدرانه .. كل ما فيه يلفظني .. حتى رائحته تنسج لي قصصاً و تواريخ لآخرين لا أعرفهم .. تحمل ماضيهم و ذكرياتهم و أمانيهم .. ليس لي شيء هنا .

بقعتي الحبيبة تناديني .. هذه المرة لن أتجاهل النداء .. البحر وراءها ساج .. مويجاته زرقاء .. تيجانه زبد فضي تنساب في هدوء كأنها تخشى إزعاجي .. و عند خط الأفق تماماً ينتصب بيتي البعيد في شموخ الجبابرة .. خطواتي تقودني إليه .. أفتح عيني على آخرهما لأتأكد أنني أخيراً هنا .. أتهادى .. لا أكاد أسمع وقعاً لخطواتي فستاني السماوي بأكمامه الواسعة و خيوطه المغزولة من ذهب الشمس و فضة القمر .. تطير مع نسمات الهواء .. أطلق العنان لشعري .. أحل ضفائره .. يطير في سعادة .. أرقص على موسيقا وشيش البحر .. خطواتي تزداد اتساعاً كلما اقتربت منه .. أجري .. أمد ذراعي إليه .. تستحيل أعمدته الأربعة أذرعاً كبيرة تضمني في شوق و تطبق عليّ في لهفة .. و تستحيل وروده أفواها صغيرة تلثمني و تطبع آلاف القبلات على وجهي و جسدي .. أغرق في طوفان شوقي .. تسقط مني حقيبتي .. تتناثر ملابسي الحريرية على الرمال تطير و تطير في الهواء .. وردي .. أحمر .. أبيض .. أصفر .. كل ألوان الورد

فهرس

الفصل الرابع

رتوش و ظلال

الدم

في حلقة جلسوا .. في هدوء أعلنَتْ الوصية .. صاح ذو الحاجب الشيطاني بصوته المعدني القبيح .. " موثقة؟؟ " قالت : " لا .." " إذن أين الشهود ؟ " قالت : " أنا .. " " قهقهته الساخرة سكين ذبحت أوصالها.

قالت .. " المرحومة وثقت فيكم " .. تململوا .. تكأكأوا .. بصقوا .. ثلة أصبحوا .. ضاقت حلقتهم حولها .. تلظت عيونهم .. تشظت .. تلمظت أفواههم .. سال لعابهم أغرق ملابسهم .

قالت : " ودينها من سيقضيه؟"

صاحت الصفراء ذات الصوت (المسرسع) : " طبعاً أنتِ .. ألست ابنتها ؟ " قالت : قال الله تعالى " من بعد وصية يوصى بها أو دين" و أنتم ألستم أخواتها؟

أشاحوا .. أدبروا .. (برطموا) .. قامت لتلملم أوردتها المقطوعة فأخذت أعضاؤها تسقط منها .. عضواً .. تلو الآخر.. تناثر الدم .. ألتف حولها أطفالها في هلع كقطط تتمسح في فراء أمها .. فأغرقهم الدم .

أثارت رائحة الدم شهيتهم .. نظرت إليهم .. جحظت عيونهم .. كانت فكوكهم مفتوحه ..أقعوا على أرجلهم وانتصبت أيديهم.. أذنابهم االمهتزة

تدلت من مؤخراتهم تترقب الغنيمة الدسمة.. متأهبة للانقضاض .. تغيرت سحنتهم ..أخذوا يعوون عواء مخيفا ..أطلقت للريح ساقيها .. انطلقوا يعدون وراءها هي وأطفالها ..ولما تمكنوا منهم أخذوا يمضغونهم في تلذذ .. يدفعون بلحمهم في كهوف بطونهم .. يلوكون ويمضغون ويلعقون...

فهرس

أمـهـــــا

صراخها يحكم وثاقه حولي .. لا أستطيع منه فكاكاً .. أمنحها صدراً عنيداً .. تمتصه بلهفة .. تملأه برضابها اللاهت .. و هو كصخرة لا تلين .. و لا تتفجر بالسائل السحري .. الذي يسيل من الأخريات كصنابير المياه .. فأفغر فاهاً مندهشاً .. و يدق في ذهني سؤال كنواقيس نحاسية تدق في أركان كنيسة مهجورة .. إلى متى سأظل أنظر إلى ما يفعله الآخرون كأنهم يأتون بمعجزات خارقة لا أستطيع إتيانها .. أي إحساس عميق بالذنب يغمرني ناحية طفلتي المسكينة منذ كانت غيباً يسبح في بطني .. ؟ أي ثعبان يهصر داخلي و أنا أسمع بكاءها الجائع .. ؟ قلن لا تقلقي .. في اليوم الثالث سيتدفق اللبن .. و في السابع سيكون غزيراً و بعد ذلك ستنهمر الشلالات .. و بت أنتظر معجزة الثالث و السابع و ما بعدهما .. أقبض على صدري براحة يدي .. أضمه فيتبقى في يدي خواء .. أفتحها فيسقط منها ضامراً واهناً كثمرة محترقة .

قلن " اهدئي لا تفكري في أي هم " .. قال ذو البالطوا الأبيض " في اللاشعور ترقد عندك رغبة دفينة في ألا ترضعي .. قلت " مستحيل " قال " في اللاشعور إصرار المرأة غلى إرضاع طفلها ينبه غدة في المخ على إفراز اللبن و مع استدامة امتصاص الطفل يتدفق اللبن .. أنت لا تريدين ! لتتذمري .. لتبكي .. لتعيشي في تراجيديا .

قلن أشربي .. تجرعت أنهارا من مشروبات غامضة الألوان ... فجة الروائح .. تترك في رائحة جسدي بصمات .. كأن كلهن اجتمعن غلى أن أشرب كل ما اكرهه ليتدفق السائل السحري و لكن بقيت أنا و هي .. صراخها لا يهدئه إلا زجاجة توسدها كفيها البضتين تجد فيها الدفء الذي لم تجده في صدر الأم ... تنظر لها في وله ... و قطرات الحليب تتدفق منها في فمها ... و تتدفق معها دموعي على صدري و كفي و كفها و الزجاجة .. لا يضمنا سوى ليل طويل أنا و هى و أمها

فهرس

الـطـوق

ذات يوم هبطت على جدار شرفتي حمامة بيضاء ناصعة .. كان عنقها غريباً يبدو فيه الريش طويلاً أطول من المعتاد و مختلفاً عنه في الإتجاه كما لو كانت ترتدي طوقاً .. هششت لها .. فأنست لي .. تبادلنا النظرات .. .. اقتربت مني بحذر .. وأسمعتني هديلها الحزين .. مددت يدي أربت على ريشها .. تركتني و طارت ظلت يدي مدلاة في الهواء ولما استيقظت .. أسفت .. و لم أستطيع أن أجزم تماماً أنه كان حلماً .

ألبستها فستانها الأبيض الذي أعشقها به .. عقصت شعرها الحريري .. وضعت في رأسها طوقاً أبيض .. حدقت فيها طويلاً .. لا أدري لماذا تذكرت قصة سنوهوايت و تذكرت ملحوظة الطبيب " هذه البنت عندها أنيميا وجهها مثل مصباح النيون .. أبيض أكثر من اللازم " قالت بصوتها

الرقيق " ماما أريد الذهاب للمراجيح " صحبتها لحديقة الأطفال .. ركبت أرجوحة على شكل أرنب و بعد قليل قالت هذا يكفي يا ماما الأرنب تعب " طبعت قبلة على خد الأرنب البلاستيكي و قالت له في حنان " مع السلامة يا أرنب " و قبل أن تنزل من الأرجوحة كان طفل قد لكزها بمنكبه ليجلس مكانها .. صحت فيه ألا تستطيع الانتظار قليلاً ؟ ألا ترى أنها تنزل ؟" نظر لي باستهتار بعينيه المشروطتين القططتيتين و هزت مربيته الفلبينية رأسها

أشارت إلى أرجوحة أخرى كبيرة يجلس فيها الأطفال صفاً كل خلف الأخر و يدفعها طفلان من الطرفين قال لي أحدهما بصوت أجش " طنط نحن نهز بقوة ابنتك لن تحتمل " قلت في غيظ " سأنزلها إن لم تحتمل " و بدأ الهز عنيفاً ... و خامرني الشعور أن رأسها سترتطم ... أخذت تبكي " ماما سوف أقع " و أهتز قلبي و في نضال مع خوفي قلت في هدوء " حبيبتي لن تقعي كل هؤلاء الأطفال يجلسون مثلك و لا يقعون " و من المؤخرة صاحت طفلة بصوت مبحوح عديم الجنس " هز جيداً أنت و هو .. أأنتم رجال .. هل أنزل لأريكم كيف تهزون ؟" .

أنزلتها ارتمت في أحضاني .. قالت " ماما لا أريد مراجيح "جلست منزوية كان الأطفال يجرون من كل صوب حولها وأخذوا يلعبون الكرة في وحشية .. جلست تلعب بكوب و دلو تفرغهما و تملأهما بالرمل في سكون و دعة ... لا تحيد بنظرها عنهما .. لا تلتفت لصخب الأطفال .. تركت ابنتي الدلو و الكوب و اتجهت تنظر في اهتمام تابعتها .. كانت حمامة بيضاء مهيضة تقف على تكعيبة العنب بالحديقة و كان طفل يلهو بطوب و حصى يقذف بهما الحمامة و هى تجاهد في تفاديهما .. بكت ابنتي و صرخت " حرام عليك " توجهت للطفل .. تحدثت إليه .. لم أجد سبباً مفهوماً لعدوانيته .. طارت الحمامة و انطلقت ابنتي تمشي بين الأطفال .. نحيفة .. ضئيلة .. بيضاء .. نظرت إلى السماء أتأمل كوكبة الحمام و قد نشرت أجنحتها البيضاء في السماء .. سألت نفسي ماذا لو كانت صقوراً أو نسوراً ؟ عدت إلى مكاني .. وجدت الكوب الذى كانت تلهو به ابنتي وقد تهشم وتناثرت أشلاؤه .. أيقنت أن أحد الأطفال الأشقياء قد داسه أثناء لعب الكرة .. أخذت ألملم بقاياه بسرعة قبل أن تفطن لها ابنتى .. ولما انتهت

وجـدتها واقفــه ورائــي .. تتــأملنى .. بعينــين أحــدهما ملؤهــا تساؤل و الأخرى لمعت فيها دمعة لم تنطلق

فهرس

ومـــــــــازال يلـــــــــعب!!

صرح من الجرانيت البنى والرخام ٠٠ترقد فيه كائنات ومكاتب ٠٠أجهزة كمبيوتر ٠٠فاكس ٠٠مقاعد هيدروليكية ٠٠ طابعات ٠٠غرف واسعة ٠٠صالونات وثيرة أنتريهات فارهة وزجاج الفيميه الأسود يرتفع عاليا يفصل القيظ الخارجى عن البرد الداخلى الذى صنعته أجهزة التكييف٠

تدخل الصرح كأنك فى أحد دور السينما الفاخرة ٠٠ أبواب الألوميتال تفصل المكاتب٠٠ تعزل الناس٠٠تمنع الضجيج ٠٠ والمكاتب الزجاجية أنزلت الستائر ذات الشرائح المعدنية المتعددة لضمان خصوصية كل مكتب عن الآخر ٠

قاعة التدريب الخضراء ٠٠المفروشة بالموكيت ٠٠يقف المحاضر على منصة عالية ويجلس المتدربون ينصتون فى خشوع ٠

فى اللحظة الفاصلة بين المحاضرتين وقفت بالشباك ٠٠من خلال الستائر كانت أمامى أرض فضاء شاسعة ٠٠امتلأت بأكوام القمامة والنفايات وعروق الأخشاب المتكسرة والصفائح الصدئة وإطارات السيارات ٠٠تسعى فيها حشرات وكثير من الزواحف مجهولة الإاسم وكائنات غريبة تفر من مكان لآخر تتقافز فئران وقطط وربما اختفت ثعابين بين الشقوق ٠

كان هناك بيت صغير من الأسمنت ٠٠على سطحه وضع صاحبه كثير من عروق الأخشاب المتكسرة التى رميت بساحته٠٠فجعلها سقفا وعلى مدخله بضع بلاطات متكسرة بفعل الزمن كلما ابتعدت عن مدخل البيت تباعدت المسافات بينها وتلاشت الى أن تصبح ترابا ٠

وقف هناك طفل ذو شعر ناعم أسود يلعب صنع لعبه من الصفائح الصدئة والعلب القديمة وعروق الأخشاب المكسورة صنع دراجة وسيارة وطائرة صغيرة ٠٠كان مسترسلا فى ضحكاته اسمعها من خلف زجاج الألوميتال فأندفع لأطل عليه لأجده ما زال يلعب

فهرس

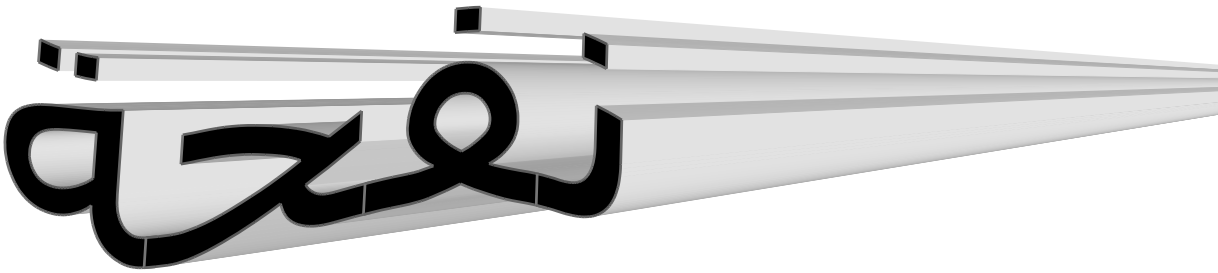

اليوم خذلتني الصديقة الحميمة التى وعدتنى بأن تقضى اليوم معى ٠٠ انتظرت رنين الهاتف ليكون هو ٠٠ تلقيت آلاف المكالمات إلا مكالمته ٠

بثتنى مربية ابنتى الصعيدية المنبت كلمات تشى بحب وتقدير ٠٠ اختصتنى بحكاية أبكتنى عرفت منها أنها لم تبح بها لمخلوق سواى لا لشىء سوى أن" قلبها انفتح لى "٠

تذكرنى حبيب اعتقدت أنه نسى حروف اسمى بمكالمة طويلة من أقاصى الأرض ٠

داعبنى طفل أسمر ٠٠ فتحت حقيبتى المملوة دائما كجعبة حاو بلبان وحلويات وبالونات ٠

صاح بى رجل لأنى اقتحمت بسيارتى شارعا ممنوع الدخول فيه وتصاعدت اصواتنا بالسباب ٠٠ كانت الشوارع خانقة وكنت أتوق لمكان فيه صخر وبحر وخضرة وتنساب منه موسيقى حانية فلم أحظ الا بمكان صغير مزدحم فيه صخر وبحر فحسب والحد الأدنى لطلبات الفرد مبالغ فيه ٠٠حاصرتنى فيه نظرات الناس واعتقد بعضهم أنى مجرد أنثى باحثة عن صيد٠٠ حاولت أن أكون محايدة لكن البحر كان ثائرا ٠٠ ينتفض موجه للذرى كبركان ثم تسقط ذراته متتابعة كالطلقات ٠٠ كان صوت وجيب موجاته الرعناء تلطم الصخر بعنف ٠٠يريحنى ويغرينى بمزيد من الصمود للنظرات المتفحصة ٠

قريبون البشر منى يجلسون بجوارى أكاد أسمع أحاديثهم وحكاياتهم وأكاد أمد يدى فألمسهم لكن ما أصعبها هذه القدرة العجيبة على التواصل بين جزر منفصلة
آخذتني سيارتي للمقابر بعد أن انتهت غايتي من البحر قرأت الفاتحة لروح الغاليين والداي وجدت دموعي تنساب رغما عنى تعجبت لأنى لازلت احتفظ بذكراهما طازجة رغم شسوع المسافات وبعد الزمن وعند خروجي كنت مفعمة بحزن شديد خاصة عندما وجدت "التورتة" التي اشتريتها خصيصا لعيد ميلادي قد عجنت واختلطت ببعضها وذابت الشيكولاتة وسالت على أطرافها ٠٠أدركت أن اليوم قد مضى دون أن افعل شيئا واحدا مما كنت أتمناه

فهرس

مكانـــــــــــــــــــــــــــــــها

مكانـــــــــــــــــــــــــــــــها

مكانـــــــــــــــــــــــــــها

اخترت مكانها لأنها تحبه ولأنى أعلم أن تحت أشجارها الباسقة ترقد قطعة منها تنتمى إلى ٠٠ على هذه الطاولة جلسنا ٠٠حرقنا عشرات من أعقاب السجائر ٠٠ شددنا أطراف خيوط الحكايات الحميمة ٠٠ وتبادلنا القهقهات ٠٠ سالت دموعها من خلف نظارتها الشمسية واختنقت دموعى فى مآقى ٠٠ لكنها رأت وربتت واحتضنت دون أن تأتى منها فعلا واحدا ملموسا ٠ألقيت فى حجرها بهمومى ٠٠علقت فى الفضاء أصداء ضحكتها المشروخة وضحكتى المجلجلة التى توحى لك بأن لاهموم على رؤوس هذا العالم فيخدعون بها دونها تطل عيناها على حتى فى مخدعى ٠٠تسألنى الى متى تضحكين فى وجه العالم تمثلين أكبر

ملهاة لسيدة مخملية ترفل فى نعيم الدنيا وهى مأساة متحركة أى امرأة انت ؟؟
نعم ياصديقة معك وحدك لاأضطر لمجاملة هذا العالم فالصورة شديدة القتامة لن يتحملها أحد٠٠٠٠٠
اتأمل النمش الناعم المنثور على وجهك كحبيبات الردة تقفز لمخيلتى صورة نجوم متكسرة منثورة تلمع فى السماء تحكى لى عن حب ضائع طوت عليه الجوانح واغلقت دونه القلب ٠٠ أى قلب قلبها يعشق فى العمر مرة فيفنى كنيزك يحترق مرة واحدة فى زمنه الفلكى وأى قلب كان قلبى المدرب على استراتيجيات الفراق ويدمن لذة مشاعر الاحتراق المعتقة
أفقد ابجديات التعامل مع مفردات جسدها يبدو لى فى كثير من الأحيان جسدا غريبا تتوه منى تفاصيله رغم شدة قربه وإلمامي بكل تفاصيله فتارة تطل على فتبدو نحيفة وأخرى ممتلئة وتارة أخالها قصيرة وأخرى طويلة وأحيانا انسى أنها موجودة بجواري تسمعني وأحيانا أكتشف أنى اغمغم لذاتى وأنى وحدى
ناقصة اللوحة بدونك ٠٠ أمامي فنجان قهوتك التي تحبينها مضبوطة وحرقت عشرات من أعقاب السجائر بدونك أشيائك تنطق بحميمية الافتقاد ٠٠ تسألني عنك أشجارك الباسقة والنادل الأسمر الذى يعرف مذاق قهوتك المميز وطاولتك التي تركنا عليها بقايا قصصنا الحزينة وأعقاب سجائرنا المهروسة التي حرقناها حتى نهاية نهاية أطرافها

وقائع سقوط بيدق على رقعة الشطرنج

مساء الاثنين ٠٠/ ٠٠ / ٠٠

الساعة ٦,٣٠

صاح مصفقاً " كش ملك " .. صاح مرة أخرى " كش ملك " ظل الآخر ساهماً مستنداً بمرفقه لطاولة محدقاً في رقعة الشطرنج قال له : " انتهى الدور يا حلو " قال " لم ينته بعد مازال هناك بيدق " قال ضاحكاً " بيدق..؟؟ ما هذا التهريج أنت تعرف أن البيادق هذه خلقت من أجل الإطاحة بها أو أضعف الإيمان إحماء وطيس المعركة هاه .. هل ستستسلم ؟؟ " قام من مجلسه .. مازال شارداً ارتدى معطفه المعلق على المشجب استأذن في الانصراف متعللاً بشراء بعض لوازم المنزل وبعض الحلوى والفواكه للأطفال ، في طريقه لركوب الترام المتجهة إلى محطة الرمل.

الساعة ٧,١٥

الميدان هادئ في مثل هذا الوقت من اليوم .. حركة المرور طبيعية في تقاطع شارعي شامبليون مع شارع الترام .. الجو معتدل .. نسمات خريفية تمس شغاف القلب بشجن غير محسوس تسرى عبر مسام الإحساس .. ينساب صوت فيروز " نسم علينا الهواء من مفرق الوادي " رجع الصدى يعيد ويبدد بعض مقاطع الأغنية .. تتدفق مخلفة تياراً دافئاً من ذكريات الصيف والصبا والأحلام.

الساعة ٧,١٦

الإشارة حمراء تقف الترام .. يتدافع البشر من عربة الترام .. ينزل وهو يحمل كيساً من البرتقال يهرول متعجلاً .. فرحاً يمنى نفسه بابتسامة أطفاله حين عودته له لهم .

من الاتجاه المقابل وفى سرعة صاروخية ليس من السهل استيعابها تنطلق عربة نقل عام .. تكسر الإشارة .. مندفعة ..حمقاء .. لتنهى آخر لحظات الهدوء في هذا اليوم.

يسقط الرجل أمام العربة يسقط معه كيس البرتقال تتدافع حباته على الإسفلت ورجل آخر كان أمامه تتابع العربة دهسهما وهما يتدحرجان .. يترنحان في الهواء .. ينزلان تحت عجلاتها .. العربة مازالت كما هى منطلقة بنفس السرعة تعجنهما في الأرض كما لو كانت قد جندت خصيصاً لقتلهما .. يسقط أحدهما بلا حراك .. رأسه شبه منفصلة عن باقى جسده .. نافورة دم تنبجس منه أما الآخر لم تتبقى فيه سوى عينان ذاهلتان .. تظهر فجوة كبيرة في صدره عندما يتنفس .. أطرافه تبدو كأطراف العرائس الخشبية لا صلة لطرف بالآخر .. يتوقف .. كل شئ عن الحركة .. كل شئ.

الساعة ٧,١٧

زحام .. زخم من البشر .. همهمة .. صـاح السـائـق " كان سيصدمني أنا .. هذان الرجلان

ذهبا فداء لي " قال آخر " أعمار !! " صاح الشرطي " وأنا أيضاً كاد يدهسني في طريقه أهو مجنون أم مخدر ؟ " سألت امرأة " هل ماتا ؟ " قالت فتاة شابة " أنا مستعدة لتوصيلهما بسيارتي لأقرب مستشفى " لكزتها عجوز هامسة بصوت أجش " احذرى سيأخذونك في سين وجيم .. صاح آخر " فليتصل أحد بالإسعاف .. " ينظر الناس لبعضهم في بَلادة .

الساعة ٧,١٨

" يبدو أن أحدهما مات " تطوع رجل فخلع عنه (السترة) التي كان يلبسها وغطى وجهه قال " يبدو أن الآخر مات " صاحت امرأة " حرام عليك إنه ما زال يتنفس " الكل يتساءل ألم يلتقط أحد رقم العربة ..؟؟ ما هذا اهو مجنون أم أفلتت منه كوابح السرعة ؟ "

الساعة ٧,١٩

لكزها " هل سنظل واقفين هكذا لنشاهد هذا الفيلم القميء ؟ نظر لبطنها المنتفخ وقال " أنسيت موعد الطبيب ؟ " حدجته بنيران نظراتها وقالت " أليس عندك شئ من الرحمة ألا تنتظر حتى نرى مصير هؤلاء ؟ كان يمكن أن نكون أنا أو أنت " صاح " فأل الله ولا فألك " نظرت له في غيظ مكتوم وسكتت .

الساعة ٧,٢٠

اخضلت عيناها بالدموع كان الآخر مسجى لا يصرخ لا يتحدث لا يتألم عيناه شخصتا في رعب تجمدت نظراتهما على الميت بجواره لا يريم والذي تخثرت بركة دمه على الإسفلت .. صعوبة شديدة في التنفس .. يبدو أن قفصه الصدري تهشم و أيضاً ساقه اليسرى وذراعيه إن ما يشعر به شئ يفوق الألم .. يبدو أن الإنسان يفقد إحساسه بالألم عندما يفوق الألم الإحساس .. يتأمل ساقه الأخرى والدم يتدفق منها .. إحساس مبهم و الإنسان تنسحب منه الروح طائر يرفرف داخل قلبه .. البرتقال

بجانبه بعضه سليم .. بعضه مدهوك ذاكرته تومض وتنطفئ .. تمر أمامه صور أطفاله ككتاب تفر صفحاته بسرعة فائقة .. أحداث متناثرة لا ترابط بينها تمور كأمواج متلاحقة تنطفئ .. تومض .. تنطفئ .....

الساعة ٧,٢٥

وصلت عربة الإسعاف .. زحام شديد .. مناقشات حامية هل يمكن للإسعاف أن تحمل ميتاً .؟؟؟؟

الساعة ٧,٣٠

حركة المرور طبيعية تماماً .. السيارات و عربات الترام وحافلان النقل العام .. الميدان زاخر بالحركة لكنه هادئ تماماً . حبات البرتقال على الأرض تتابع العربات دهسها وتفتيت أحشائها في كل اتجاه ... تسيل عصارتها على الإسفلت مشكلة مربعات قاسية قانية تتعانق مع بقع الدم.

فهرس

فهرس

الآنسة ب . و

اعتادت التأريخ لكافة حوادث حياتها المهمة بـــ (ب. و) كان زملاؤها يتعجبون ... و أمها و أصدقاؤها ... من هذا الرمز الذي درجت على كتابته آلياً بعد كل تاريخ إلى أن أصبح مصاحباً لاسمها ... أصبحوا يطلقون عليها الآنسة " ب . و " اختصاراً لاسمها الكبير الذي كان الكثيرون يتعثرون في نطقه ... و تضطر إلى تصحيحه لهم ... كانت تشعر بالسعادة و الرضا و هى تحمله معها في كل مكان تذهب إليه فهو أهم شيء تكتبه كل يوم بعد التاريخ . كانت

مذكراتـه اليوميـة بين يديها ... تقـارن بين أيامهـا و حـوادث السنين فهـي تحمـل اقتناعاً بـأن ثمـة صلـة مـا بين نجميهمـا فلكيـاً و تناسـخاً بـين روحيهمـا يجعـل نفـس الأحـداث التـي حـدثت لـه تكـاد تظهـر بـصورة شبه متطابقـة معهـا ... كـانوا يتعجبـون مـن قـدرتها علـى الاستـشفاف و التنبـؤ رغـم أن قدرتها تلك لم تكن أكثر من قدرة حائك على قص نموذج أو (باترون) قد سبق إعداده من قبل و فـي الفترة الأخيـرة قـال أصدقاؤها المقربون إنها كانـت تتحدث عن المـوت كثيـراً و كانت تنتابها أحلام غريبة حول تـاريخ معين كانـت دائمـاً مـا تكتبه و هي ترسم أمامه دوائر و خطوطاً و مثلثات و نجومـاً و حولـه حـسابات رقميـة كثيـرة و فـي اليـوم المحـدد الـذي

حدثتهم عنه رآها البعض ترتدى حلة يعتقدون أنها لوالدها الذى أحبته كثيراً و يرجحون إنها اختفت في نفس الظروف الغامضة و في نفس يوم وفاته الذي اعتادت التأريخ بعده بكلمة (ب . و).

فهرس

مـاذا سـنـفعـل ؟

عنـدما يـضمهما الفـراش آخـر الليـل بعـد يـوم حافـل بالإحباطات و الهموم و المسئوليات .. يراودها التفكير من جديد .. تتسكع أفكارها و تعربد في سقف الغرفة .. هل سيحاول ؟ هل سيحجم أم سيقدم ؟ ماذا سنفعل هل سترضى ـ كما هو الحال في غالبية الأحيان ـ على مضض درءاً للمشاكل و حقناً لاحتمالاتها .. ؟ هل ستفتعل النعاس و الإغفاء في النوم ..؟ أم ستدعي نوبات الصداع أو المغص المفاجئ أو آلام الظهر أو الإرهاق و سائر الأسباب الواهية التي عادة لا تسفر عن نتائج ناجعة في مثل هذه الحالات و التي تخلف لها مزيداً من الإحباط و الضيق ..؟ أم ستستسلم من البداية إيثاراً للسلامة و راحة البال و تتقبل الأمر الواقع ..؟

الخوف يسيطر عليها .. حانت اللحظة .. إنها تسمع توتر أنفاسه .. أصابعه تندس في جسدها تتلوى .. تعتصر .. و تؤلم .. يتعمد

إدخالها في كل الأماكن آلتي تثير اشمئزازها .. يصم أذنيه بلا مبالاة و يستمر في إتمام ما يفعله .. تشد الغطاء .. تسحبه .. تدثر به وجهها .. يصرخ و يتأوه في شبق .. ثم تخفت أنفاسه تدريجياً .. يغفى دقائق .. يكشف الغطاء عن وجهها .. و تسمع صوته المغتاظ الهادر و هو يصيح " اتفووه " .. تتناول منديلاً تنظف جسدها من بصقاته .

فهرس

ديمة

يا ترى ما الذي يدور بخلدك الآن يا زوجي العزيز؟ هل تندب حظك الذي أوقعك بامرأة مثلى ٠٠أراك وأنت تمشط شاربك الكثيف الأسود تتطلع في المرآة ناقما أنك تذرف شبابك على امرأة لا تكاد تشفى حتى تعتل صدقني أنا أرثى لك رغم محاولاتي المريرة أن أجنبك هذا الإحساس السام لكنى أجده يطل من عينيك كما لو كنت تتطلع إلى غسالة أتوماتيكية يجب ألا تتعطل ٠٠كنت أكتئب كلما راودني المرض وأردانى رغما عنى بلا حول ولاقوة وهو يزحف في بطء وسماجة على جسدي مثل برص لزج فأتلقاه ممتثلة لمقدماته الطبيعية وخطواته

المحفوظة الكريهة سوف يبدأ الأمر بهذا التنميل الخفيف ثم ما يلبث أن يتحول إلى نقرات مؤلمة من مناقير وحشية ثم أخيرا يعقبه هذا التيبس الرهيب فتتحول أصابعي لتوابيت صغيرة غير قابلة للاقتراب أو اللمس وإن حدث فسوف تنفتح بوابات أخرى للألم وستندفع مناشير متأهبة لخمش لحمك واختراق عظامك بلا رحمة ٠
لذا كنت أحاول أن يكون بيتي في أحسن صورة لا أطيق ولو ملبس داخلي واحد ينتظر دورة غسيل تالية وأنى في تهيئة دائمة لضيف ثقيل لا أعرف متى سيأتي ٠٠الأطعمة أصناف متنوعة في الثلاجة تمهيدا لأيام عجاف قادمة وعندما كنت أسقط رغم كل ذلك كانت تقتلني نظرتك ويقتلني الإحساس الداهم أنى حمل ثقيل على كاهلك ويدميني صراخك في الطفلتين الصغيرتين كأنما تعاقبهما على خطيئة لم يقترفاها وأبخرتك تتصاعد في وجهيهما بلا سبب منطقي سوى أنك

موكـل برعايتهمـا بعـض الوقـت وأجـدك تتلبس دور طفل مدلل وجد نفسه فجأة في مصيدة أن يهتم بآخرين سواه ٠
حينئذ أبدأ البحث في أجنـده تليفونـاتى عـن أم ســرية٠٠تبـتهج بمجـرد ســماع صـوتي تكـاد تمتطـى ســلك التليفـون لتطير إلى ٠٠فهى تدرك أن خيـرا قادمـا ورائـي ســوف يـنعش أيامهـا المجدبـة فمـصائب قـوم عنـد قـوم فوائـد أتطلـع إليها وهى تصعد السلم لتنظيـف براقـع الــستائر أدهــش لتركيبــة جــسدها العجيـب بمؤخرتهـا الـشحمية العظيمـة الرجراجــة فتبــدو كــشجرة معروشــة ومقلوبة وكيـف يتناسـب هـذا مـع خفـة حركتها وهى تـصعد وتهـبط فـي مرونـة فهــد أرقــط ثــم أتأمــل حركــة يــديها اللــولبيتين وهــى تــصنع محــشو ورق العنب بـاحتراف فأضـم أنـاملي بحـسرة وتظـل هـي تلـوك الحكايـات ٠٠أجمـل مـافى هـذه المـرأة الحمـاس ٠٠فـدائما مؤشــرها فـي أعـلاه هـي دائمـا علـى طـرف المنتهـى تمـسك بأهدابـه حتـى

تشرف على التدلي لتسقط أو تـشرئب
لتمسك بأطراف النجـوم مـن أيـن تـأتى
بهــذا الميــزان الــدقيق لدرجــة حــرارة
الحوار بيننـا مـاان تحـس أنـى قـد بـدأت
أفقد حماسي لقصة حتى تلج بي فـي
أخرى تمـسك بـإبرة وتنتقـل بفـن حائـك
ماهر من ثوب للآخر بقدرة طبيعية على
الانتقال بين الأجواء والتأقلم بين الأزمنة
والأمكنــة وغالبــا مــا تختــتم حكاياتهــا
بـضحكتها الفجـة الفاقعـة والتـي رغمـا
عنــى تحيلنــي لأتخيلهــا فــي الفــراش
فلابــد أن تكــون ممتعــة فهــي تتلــذذ
بحكايــات الرجــال والمخــادع ولابــد أن
يرسـى بنـا المطـاف فـي النهايـة علـى
حكايـات مـن هـذا النـوع وخاصـة وهـى
تصور أبو سرية على أنـه كـائن هرقلـى
وبطل خرافـي فـي غـزوات الفـراش ولا
أظنهــا كاذبــة فلــو لــم يكــن بهــذه
المواصـــفات لمـــا أمكنـــه ترويـــضها
وإخـضاعها ولمـا تورعـت عـن فـضيحته
علــى رؤوس الأشــهاد فمثــل هــذه
المجتمعـات لاتعـد مثـل هـذه الأحاديـث

سرا ينبغي كتمانه وبالمقابل قد تكون من قبيل المباهاة والتفاخر إن كان الوضع مقلوبا وتنتهي أيام أم سرية وتذهب لحالها كسيفة البال تدعو الله تضرعا وخفية أن يكثر من أمراضي فهي معي تشعر أنها سيدة الدار فمنذ أن تلج باب البيت أسلمها مفاتيح حياتي لتديرها لي ٠٠أستعذب استسلامي لها وأنا أترك لها مقاليد الأمور وأتفرج عليها وهى تعيد لي تشكيل أيامي وفق هذا الإيقاع الزمني الجديد الذي أدخل فيه بإرادتي كأني أتفرج على كونى من بعيد من مجرة أثيرية لاتمت لي بصلة أشاهده بالأبيض والأسود اتركها تصنع منى أي عنصر من عناصر حكاياتها تعيد تخليقى أترك لها هذا مع سائر مهامها من إعداد طعامي وتنظيف منزلي أنشد الهدوء والراحة أتركها تفتح التليفزيون وقتما تشاء ترقص على أنغام الكاسيت مشيدة بحماس بصوت الولد العفريت فضل شاكر أتفرج على فعل البهجة وأنا

أراه في عيون الآخرين وبعد أن تنتهى تصنع لي فنجان القهوة المضبوط الذي أعشقه من يديها ٠٠ وتقرأ الفنجان ٠٠أضحك لخرافاتها وأستزيدها ٠٠تتجلى ٠٠ وتحكى ٠٠أطراف أقاصيصها وحدات رائعة من الكنفا ٠٠ تصلح لتكون تابلوه من الفن السريالي ٠٠استوائي الألوان ٠٠جرىء ومفعم بالتفاصيل ٠٠إعجاز هذه المرأة رغم آلاف الأشياء الكبيرة والمنمنمات الصغيرة التي تنجزها في اليوم في سرعة ودقة دون جلبة يتبقى دائما براح من الوقت للمتعة والسمر كأن زمنها أزمنة ووجودها سرمدي ويومها تباركه الملائكة وليس كيومي يمر سريعا دون أن تنجز فيه شيئا واحدا ذا قيمة وكأن جنا قد تلبسه
أنظر لها وهى جالسة على الأرض متوركة وأردافها الرجراجة ترقد على جانبيها كبطة سمينة تلم صغارها تحت جناحيها كلما نظرت إليها شعرت بدفء يتسرب لأوصالى لاأدرى لم يرتبط

مفهوم الأمومة بهذه الشحوم فعندما كنت أشعر بالبرد كنت أجرى لأحضان أمي تخفيني وسط هذه المغارة اللحمية الرائعة فأشعر أني عدت إلى رحمها ٠٠تودعنى بطريقتها المعهودة ولابد أن تطرقع قبلاتها على وجهي وأعود من جديد أنضو عنى أيامي وأنفض وريقات عمري لأعيد ترتيب إيقاع الحياة أعود لأجرى وأسقط من جديد أعود إلى مطبخي وغسالتي وأطفالي وعملي أجاهد أن ألتحم بالزمن الذي هرب منى أضحك لهذه أداعب ذاك لا يصدق أحدا أنى كنت مريضة إحساس مبهم لا أستطيع وصفه كأني إطار سيارة فلت منها وهى تجرى على الطريق وهو يجرى بجانبها محاولا اللحاق بها للعودة إلى مكانه ٠٠لا السيارة تقف ولا الإطار يستطيع عمل المعجزة واستنفار قوته ليلتحم بالسيارة
أعود لأدوات تجميلي قبل إصابتي بلوثة أعانق كل أشيائي أتأمل أناملي

المعوجة أنظر إليها وهى تضم الأشياء في دورة كاملة كسائر البشر تدمع عيناي عجبا لهذا الجسد المتمرد كيف يملى على قوانينه فلا أملك سوى الطاعة٠ أنظر لوجهي وجسدي في المرآة أكاد لاأعرفنى رحلة أخرى جديدة للتخلص من الكيلوجرامات الزائدة بفضل العقار السحري اللدود الذي لا أعرف هل أحبه أم أكرهه "الكورتيزون"ينظر لي زوجي باستخفاف ويقول باستهزاء مؤخرتك قاربت على حجم مؤخرة أم سرية أصرخ في غيظ ٠٠أجرى مسرعة أعد نفسي ومنزلي وحياتي لديمة أخرى

فهـــرس

١. *اهداء*
٢. *مفتتح*

فصل أول احتفالية للحزن

١. *ويرحل*
٢. *قبو*
٣. *مسكينة هدى جابر*
٤. *تحول*
٥. الى الخفوت
٦. إليها
٧. لكنها كانت ميتة
٨. البعض يموت مرتين
٩. المقاطع الأخيرة من رحلة نيل
١٠. زيارة
١١. رسالة فى زجاجة بالمحيط
١٢. هل ...لا

١٣. عقم

فصل ثان: نرجسيات

١-امراة لااحب أن القاها
٢-المتحولة
٣-يدى
٤-موعد

فصل ثالث : معا .. احيانا

١-أجمل مافينا
٢-بوتريهات
٣-كراسى موسيقية
٤-متحدان منفصلان
٥-الخفاش
٦-ظل الخفاش
٧-حرب التفاصيل الصغيرة
٨- ١-٢
٩- نصف شمس نصف قمر
١٠-همزة وصل
١١-ثلاثة اطوار للوردة

فصل رابع: رتوش وظلال

١ -الدم
٢-أمها
٣-الطوق
٤-ومازال يلعب
٥-نفحة
٦-مكانها
٧- وقائع سقوط بيدق
٨-الآنسة ب، و
٩-ماذا سنفعل ا
١٠-ديمة